

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ الفارسية المعرفة لادي شير الكلدانى ، وتتوفر جملة اخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي استعجمت كقاموس دوزي المشترق الهولندي الذى جمع فيه المفردات العربية التى دخلت الإسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية فى اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة فى اللغة الانكليزية) لجريجس فتح الله المشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجمام - واعني بها دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى - وظاهرة الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية الى العربية - وبين ظاهرة التنقل فى مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق فى مجال الاستثمار الدراسى هو المهم هنا - فيما ادخل - ذلك ان دراسة الدخيل لا تكشف لنا فى الفالب الا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد يكون غيره . دراسة الاستعجمام هي الاخرى قد لا توقفنا على اكبر من مجال دخاته الكلمة العربية .

قد تعد ظاهرة تنقل الألفاظ من ابرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوخها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من المجتمعات ، وفي شتى امماكن لفاتها من فصيحة وعامية .

وهي : تعنى تنقل الكلمة من لفتها الاصل الى اكبر من لغة ، ومن مجتمعها الام الى اكبر من مجتمع . وتنشأ تلقائياً كاي ظاهرة اجتماعية اخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعرف و بسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها و變formations وتقسيمات مضمونها .

وقد تتوفر جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالانكليزية في مثل Webster's International Dictionary وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) .. غير انا لا نجد مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل أمثل : مغرب

- 10 - امبراطور Emperor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 11 - بنك Bank - الإيطالية القديمة .
الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 12 - كاش Cash - اللاتينية . الإيطالية .
الانكليزية . العربية .
- 13 - بلاتين Platinum - الإسبانية .
الانكليزية . العربية .
- 14 - ماركة Mark - الالمانية . الانكليزية .
العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثلا واحدا من الكلمات المعربات المتنقلة ، هو كلمة (كعك Cake) المعرفة عن الفارسية ، وهي من المعرف القديم الذي يمتد في تاريخه الى اواخر العصر العباسي .

فاثنا عندما نرجع الى تاريخها في لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة الترويجية القديمة الى اللغة الالمانية القديمة ، ومن الالمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق المعرف عن الفارسية (كعك) وفي معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها - فيما اخال - من انها سلكت في دخولها الى اللغة العربية طريقين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت في اولهما الى اصول التعریب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع في ثانيهما الى تلکم الاصول فبقيت على لفظها الافجمي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنیي استعمالها والى ضعف الالتزام بأصول التعریب .

وفي ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية في دراساتنا اللغوية وبخاصة المجممية منها لما ستليه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول اللغة وفروعها .

اما في دراسة تنقل الالفاظ ف مجالات الدراسة كثيرة ، منها ما تحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب في لفتنا وقوة الهضم والتمثيل وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التي اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتاثير والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا في ضوء ما نراه من توسيع كبير في الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذي يعني بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او العربية عن قريب باذن الله تعالى .

وكاملة اضع بين يدي انقاريء الكريم اضمامة صغيرة من الكلمات العربية المتنقلة التي اخذتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز الذي يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

- 1 - موسيقى Music - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 2 - مفناطييس Magnat - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 3 - كريستال Crystal - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 4 - نرجس Narcissus - اليونانية .
اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 5 - بوليس Police - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية .
العربية .
- 6 - كلية College - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 7 - بروفسور Professor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 8 - ليمون Lemon - اللاتينية . الفرنسية .
الانكليزية . العربية . الفارسية .
- 9 - صراط Street - اللاتينية .
الالمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية .
القديمة .

مَظَاهِرُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ محمد بن تاویت

اما ابدال تلك الهاء « المخفى » كما يسميهما الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا في العربية ، كما كان مطردا ايضا ابدالها جيما ، كما في الكلمة « برنامه » التي اصحت برنامنج ، وقد عقد سيبويه في كتابه فصلان سماه « باب اطراط الابدال في الفارسية » فذلك من هذا كوسه وموزه وكريق وفريقي ، الى غير ذلك من الكلمات ، التي يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي في نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقبلون الحروف التي لا يستعملونها ولا بالغون اجراسها ، فالحرف P ينقلب باء او فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ، والحرف L ينقلب واوا في الفالب كذلك .

وبعد هذا لابد من انسجام في الهيئة والامتداد ، فتبديل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض الحروف التي تتعذر الكلمة طورها في العربية ، ان لم تحذف منها تلك الحروف ، في الفالب ايضا ، ولم يتتحماوا هذا للاضطرار ، بل اخذوا الكلمة « جلاب » وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب في القديم ، مسألة التعليم بمدلولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما فهمنا ، فالقضية تهذيب لفظي بوسائل في غاية البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخد فيها ما كان معهودا من ذي قبل ، فقيل ، فلسفة في

كثيرا ما قلنا ان التعريب كان منصبًا على الانفاظ ، بينما التعريب الان منصب على المعاني فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلبت اليه ، يستفني بالباسها لباسه العربي ولو بخطاء الرأس مثلا او الحذاء

جاءته الكلمة « كروان » بمعنى القافلة ، فقال فيها قروان ، وغطى رأسها بالالف واللام فاصبحت القروان او القروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع بكل الحقوق التي تتمتع بها الكلمة العربية في اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لملة العجمة ، لأنها قد ارتقعت عنها بهذا العقال ، الذي هو هنا الالف واللام ، كما حدث في الهند والصين والروم والترك .

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان الفارسي ، الكلمة خندق فاستفسره عن معناها ، وهي اسم مفعول ، من كندين الفارسي بمعنى الحفر ، فكانت كنده ، وعربت بأن ابدل الهاء التي لا تنطق قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يألف من استعمالها بل اشتاق منها خندقوا ، فسميت الغزو بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت في النطق تميل الى الخاء ، كما هي في اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند مقرئي المغرب بالكاف المسوس ، ولهذا نطق خندق .

كل ما في طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا؟

نعم ، هي قادرة ، لو مكنها من قدرتها ، نفسها بطول الانفاس ، ان لم تكتب فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتمل كذلك ما نطلبه من معان فيها ، ان كلماتها لا تنفذ . بما فيها من الاشتغال وخاليها بحمد الله خيال خصب ، يسعفها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعفها بهذا التداعي الذي تتولد منه الكذابيات ، ولا يدخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسلة . ثم النحت .

لقد تقدمت في الاشتغال ، كلمة « خندقاً » من الخندق ، ولنا أن نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة في المادة العربية نفسها ، فتسعفنا في الاعمال بتنوعها وأوضاعها ، وتسعفنا في الصفات بتنوعها كذلك وأوضاعها ، وتسعفنا في اسماء الرمان والمكان والمصدر على اختلافها ، كما تسعفنا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نسخها من اولاد واحفاد

هذا الاشتغال الطليق ، لا نجد في غير العربية ونجد امثلة من الباقي في غيرها ، مثل ما نجد في الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعاً بالتفاح الذي أضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سبب زمین » والتركية « ير الماسى » والفرنسية Pomme de terre

وسمت الاسانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » اي قرد ، كما سمت الآلة التي ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » اي البر ، لأنها تتشعب مخلبها في جانب السيارة ولم تائف ان تسمى بالبق « Chinche » الميمرات التي ثبتت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض Underground اي تحت الارض ، مجازاً مرسلًا ، كما استعمل هذا المجاز المرسل في نحو « سندويتش » Sanduich و« كرافاط » Cravate وكان الاصل في هذين اثنين اسمان لرجلين استعملاهما .

وامن الالمان ، كما نمعن نحن في الاشباء لاستخراج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم Wasserstoff

Philosophia وفياسوف وقيس Sofistikae Kategoria وايساغوجي Isagoge وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر في هذا حرجاً او احراجاً ، وقد وجدها الابيري من رجال القرن السابع يؤلف في المنطق رسالته « ايساغوجي »

Taos	كما عربوا الطوس من
Zone	والزنار من
Kassitoros	والقرديسر من
Ibrizón	والابريز من
Diáblos	وابليس من
Thériaka	والتریاق من
Chartés	والقرطاس من
Genos	والجنس من
Esthlós	والايسير من
Gramaatika	والاجرودمية من
Asfaltos	والرفت من
Karyofyllon	والقرنفل من
Gypsos	والجبص من
Staflinos	واصطفلينة من
Sotolos	والاسطول من
Astron-lambauo	واسطراً لاب من
Drachmé	والدرهم من
Kados	والقادوس من
Atlas	والاطلس من

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرودمية ، ليست منسوبة الى ابن آجرروم المغربي ، كما يتوهם ، فان القضية اتفاقية ، وكثيراً ما يقع هذا الاتفاق في اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ،اما الان فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت في هذه الدنيا المخلوقات ، فاصبحت و كانها دار تسكنها عائلة واحدة ، لابد من التعارف التام فيها والاتحاد في مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فسارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستند

يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللغة ، وموقفها من طبيعة الاشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكمة التي لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النهاة ، قديماً وحديثاً .

اما النحت بهذا الاسم فقليل ما يتعرض له النحويون ، ومن هؤلاء الخصري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فاكثر ، كلمة واحدة ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بتمامها بالاستقراء ، خلافاً لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار الكلمة من كلمتين او اكثر ، والنوعان معاً موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يميل الى التركيب اكثر مما يميل الى الاختصار ، على عكس العربية . كما سترى :

تقول العربية « البسمة » و « الحمدلة » و « السبحة » و « الحوقلة » و « السمعلة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و « سبحان الله » « ولا حول ولا قوة الا بالله » و « السلام عليكم » ، كما تقول « الهيلة » و « الحيملة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت وتقول « التجيد » كما تقول غيره هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الافعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا ايضاً مما تميّز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقى اللغات تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعده غالباً فهي في ذلك تلتزم ما التزم - غالباً - في اسماء الافعال والاصوات من العربية ، وهذا الباب ايضاً ، مما توسيع فيه العربية ، بخلاف غيرها . مثلاً ، نجد الالمانية تمنع في حقائق الاشياء ، وتحاول ، مثلاً ، ما امكنتها الحيلة ، ان تدخل المعناني الى لفتها ولا تدخل اليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفرداً وما كان مركباً ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقي اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد *Geschichte* ولكن المؤرخ *Historiker* والوصف *Historisch* فهي اذن لم تبق حرفة طلبة وكذا الامر في المركبات ،

فركتبوا الاسم من كلمتين *Stoff* اي جوهر ، و *Wasser* اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيراً من العنت . اضطروا معه ، الى تركيب اسم لم يسم واحد من كلمتين او كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالباً بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقيل ان ناتي بامثلة من العربية لهذا النحت . نرى ان نقف وقفه قصيرة ، عند اصله اللغوی .. فاحتفلت اصله ، النثر والتشير والقطع في الصلب من المقاد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من قطعتين ، كما ينحت النجار ، خشبيتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الاصل ، كالنجيبة التي تتحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النجيبة هي المعروفة عندنا باسم الجباج ، ومن هذا قول الاعشى :

الست منتها عن نحت اثنتنا
ولست ضائرها ما اطى ابل
اما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى
« وتنحنتون من الجبال بيوتا فرهين »
هذا ما يتعلق ، بأصل المادة من اللغة .
واما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ
كلمة من كلمتين فاكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب الكلمة من كلمتين ، مما تناوله النهاة ، في عدة أبواب من كتبهم . وفي الالغية نجد التعرض للتركيب المزجي ، في باب العلم ، وباب ما لا ينصرف ، وباب النسب ، كما نجد الاشارة الى المركبات عامة في أبواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركبات من الاسماء الا ان تعرفه هذا كان لمجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليهما في الجملة .

نعم ان « الكتاب » ليس بسيبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقوفات ، كان منها ما

فهي في التصريف والنحو، وضربينا لذلك أمثلة
باللغات الأجنبية ، وهي تعم الجميع .

ومن تلك الأمثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة
تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الفرودة
فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا
تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها .
وبذلك ينشأ الترافد ، كما ينشأ بالترف والمرتب
وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن نأتي ببعض الأمثلة
التي هي في العربية مقابلة لتلك التي ذكرناها من
غيرها .

فمن الإضافة وجدنا قوس قزح واكسير
الحياة ، وحب العزيز في مصر ، وحب الملك في
المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقاف
بالمغرب . ومن النسب : اليهانسي والهندي في
الفعحي ، وفي معناه الجديد في عامتنا ، كالكونية
والوزانية فيها ، والهلبية بالشرق والمتصورية
بالمغرب ومن الاشتقاد ، كالتشيرة ، بمعنى ما
يعرف الآن باسم « الفاتورة » ويصح ان نضع فيها
« النفالة » أيضا ، وكلتاهم للفموليصة والأخيرة
« التفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، ورأس
الكلام ، ومرأة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن
السعادة ، ودمدة الشقاوة ، و « طعام الآثيم »
و « العزيز الكريم » تهكمًا . ومن المجاز المرسل ،
شرب الكأس ، (ولا يأس بالجرسي Jersey)
والتكلام مع الدار ، وجعل الأصابع في الاذن وعصر
الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة ، ومن الكتابة أهل
الحجر والمدر والوبر ، وبيت الماء ، وأهل الدار ، وغريض
القفاء للحمار ، كما في حديث من فهم الخطيب الإبليس
والأسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكتف
وخفة اليد ... أما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا
وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خليل
التركي استعمله كثيرا ، في مختصره المعروف ،
وقلما يخلو منه باب من أبوابه ، وهذه أمثلة قليلة من
ذلك : « بكمالعزمي » في اليمين ، « في كسبيل الله »
بالنذر « من كفأعد » في الجهاد ، « في كافريقة »
بالنکاح « لا بكماعراض » في الخيار منه ، « من كابل »
في الصداق ، « عند كامها » في نکاح التفویض ،
« علي كجدار » في وليمة البناء بالعروس ، « ولو
بكتقویم » في الطلاق ، « وان بکاحرام » في الارتجاع ،
و « بكمشیئتها » في الظهار ، و « وفي کاثللاة »
ـ الايمان ، وفي التطوع او غيره ان خرج ـ (لکرباط)
فهذا مثالان وردا في رفع زوجة المفقود ، و « نبد بکدباء »

وتقديم أنها سمت « الہیدروجين » باسم أصل الماء او
جوهر الماء ، هكذا Wasser Wasserststoff ماء
ومادة Stoff مركبين وهي في هذا قد استعانت
بأصل الكلمة اليونانية hudóri أي ماء ، و gen
 اي اصل من مصدر genna-ein فعلت مشكلتها
ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها في لفتها
رواند عديدة ، حيث أنها تحتوي على عدة لهجات
تفنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فإننا بقصد العربية ، وموقفها
من عملية النحت الذي عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ
الكلمات وتتحت منها كلمة آخذة منها جمِعاً » فقد رأينا
انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدامي حاولوا
احصاء المنحوت في العربية ، فوقف بعضهم عند
بصمة عشر من امثلته ، وآخرون لم يتعدوا او لم
يصلوا بها الى المائة .

غير أن ابن فارس جرى بعملية النحت
اشواطاً ، قارب بها نحو ألف ، حيث يرى أن أكثر
الرباعي والخمسي منحوت من كلمتين .

والواقع أن هذا العدد لا يعنينا بقدر ما يمكننا
من الحرية في عملية النحت ، الذي أصبحت الحياة
المقدمة تاج علينا فيه ، وأصبحت الاجناس البشرية ،
تنقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى
الدول عامة أو على مستوى جماعة منها أو على فكرة
من الأفكار ، بعد المخترعات الجديدة ، التي قد تتطلب
مئات الأشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لأبد من
تسميتها مركبة بعد أن كان مسمى مفككا أو على
أفراد أجزائه ، فكان الأتوموبيل والتليفون
والتلفراف ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الأشياء تعد
من أبسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا
بالديمقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ،
وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت
لها حلأ في اللغات ، فكيف بنا الان أمام المخترعات
الفضائية التي تتألف من مئات الأشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فانا من استعراضنا للوسائل
التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها
ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما
وكتابية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالإضافة
والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جمِعاً ،
كما يطبق على غيرها فيما سترى وعلى العموم فقد
دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن
البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

يذكر مناط الدلالات ، بمعنى انهم اقرروا بعض العمومات في دلالتها اللغوية وان خصصوها في احكامها الفقهية، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذى اجاز فيه ابو حنيفة وغيره ان يتاخر عن المستثنى منه يمدة السنوات ، او نحو الصفات التى تصر الاحكام على موصوفاتها ، وهكذا مما يطول الكلام فيه ، وحسبنا ان نجد له نماذج فى باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصحت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه أيضا تعليم للخصوص والعام الذى اربد به الخصوص وهو الفالب .

ثم كان انبلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلاغيون حينما أمعنوا في المجازات المرسلة وجدوا من نمادجه ما يتصل بهذا المجاز ، للدرجة أن نشأ الخلاف بين الأصوليين فيه ، هل هو جميماً من قبل المجاز هذا ؟ والمنطقة نظروا إليه وهو يقوم بعجمة الدلالة اللغوية ، فكان تناولهم فقيها لغويًا في الصميم : كما نجد في السلم اذ يقول :

دلالـة الـفـظ عـلـى مـا وـاقـعـه
يـدعـونـها دـلـالـة المـطـابـقـة

وجزئه تضمنا وما لزم
 فهو التزام ان يعقل انتزام
 وقد توسيع فقه اللغة الحديث في هذه الدلالات
 ياط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي
 جنسى وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر
 طقى .

وقد ألف الراغب الاصفهاني كتابه القييم «مفردات غريب القرآن» فارجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها في اصل الاستعمال اللغوي، الذي لم يقطع الاستعمال الجديد في الإسلام صلاته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، تجدها في آية واحدة تمد يدها إلى عمومها فتقول «خذ من أموالهم

في الطعام المباح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراب تأويلًا يدعونه بحذف المعنوت والواقع ، ان الصنيع التركي ، هو الذى شجع هذا التركى العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذى جعل شوقي التركى يقول :

ودخلت فى ليلين فرعك والدجى
ولثمت كالصباح المنور فاك

نها التشبيه « كالمنور » هو المفعول به على
الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، في قوله : « ما
شنه الاحلام » هو الفاعل في البيت :

يا جارة الوادي طربت وعادني
« ما يشبه الاحلام » م

وكذلك نجد لشو في هذا الصنف نحو قوله :

وَلَا يُنْبِئُكَ عَنْ خَلْقِ الْلَّيَالِي
كَمْ نَفَدَ الْأَجْهَةُ وَالصَّحَابَا

فقد جعل الفاعل هنا ، المثبّط به أدلة التشبيه ،
ولا شك أنه نظر في ذلك إلى قوله تعالى : « ولا ينبعك
مثل خبير » .

فالفاعل في الواقع المشبه به أداة التشبيه « مثل » اذ هي في المعنى لا تستقل بنفسها ، وأن كانت في الصناعة فاعلاً نفسها ، مما اهلها في التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبّيـه ، احتـال عليه ، فقال : « ذهب الـاـصـيل » و « لـجـين المـاء » و « حـمـار الشـيـخ » و نحو ذلك ، مما اضـيف فـي الشـبـه الى الشـبـه ، وقد استعملـه جدا ، ابن خـفـاجـة ، زـيـادة عـلـى الصـورـتـين الـاـولـيـن خـصـوصـا فـي قـصـيـدة لـه مـطـلـعـها :

بِاٰرَبِ لِيْلِ بَنَه
وَكَانَهُ مِنْ وَصْفِ شَعْرَك

ومن الوسائل التي توسيع بها اللفظات في دلالاتها ، وسيلة التعميم والتخصيص ، فالخاص يستعمل في المعنى العام والعام يستعمل في المعنى الخاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى راسهم الشافعى الى
هذا في النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انه
توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم

صدقية تطهرهم وتركيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل في معناه من الستر ، فعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث اعجب اتكفار نباته » اي الزراع ، ومن هذا الستر تكثير السينات الذي ورد منه في القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيناتهم وأصلاح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا » ومن العجيب ان نجد هذا الستر في الكلمة باللغات الاوربية ، في مثل Cover الانجليزي و Cubrir الاسباني ونحو ذلك في اللغات الآخذه من اللاتينية كالإيطالية والرومانية وغيرها .

ومن الكلمات التي صارت تجنج الى التخصص كلمة الانقاد ، فهي كذلك في العربية وكذلك اختها Critic في غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصيص في عصرنا ، كما نجد ذلك في تسمياتها الطيارة والدبابة والفوامة والعوامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والتاجدة والانقاد والامين والشوكة والسكنية ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها او التخصص بهذه العربية ، ولا افهم مطلقاً من يقولون ان دلالات الالفاظ في العربية لم يطرأ عليها تغيير وهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور في الدلالة ، حاصل حتى في هذا التخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفواً في عبارتنا تطورت في مدلولها بما كانت عليه بالأمس ، فكلمة « التخصص » الان لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص في فقه اللغة العام وهذا في فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقات او التاريخيات او ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص في امراض الكلى وآخر في لين العظام وآخر في الجهاز الهضمي او البولي او السمعي او التنفسى او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص في الاسنان والعيون ، مما أصبح مستقل بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعيون اليمنى وآخر بالعيون اليسرى ، وطبيب الان كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة المتخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الإسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفي غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الياء ، كما سنرى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، Pilotear بما لا علاقة له بامادة الطيران ، بل هو من العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الإسبانية، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الان جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري عوّلاته فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمى الطيار ، ربّان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجازة ، خصوصاً وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهي الطيار ، كلمتين ، وهم ربّان الطائرة او ملاحها ، زيادة على ان العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للأدمى ، وقد مضى عليها أربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

نكتفي بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المتخصص ، وتوجه الى مقابله ، الخاص العم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تمم بالبيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه في المسفر ليهدىهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكتب قومه ، بل صار الورود عاماً في كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلايين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يدعى استنباطاً ، ولو لم يكن المستخرج نبطياً . ثم زاد التعميم في كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولا زماها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما يقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد . ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر في الفارسية ، وهي بمعنى المرتب

الشهري ، تم أصبحت تطلق على كل مرتب ، شهرها كان أم غير ذلك .

ونظيره كلمة مشهورة التي دخلت الفارسية من العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على كل مرتب شهرها كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ، فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذي يوضع على ظهر البعير فيعقد طرفاه ويلقي مقدمه على كاهل البعير ومؤخره على عجزه ، فالاكفال غير الاخلاص ، كما في الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتغال مادي ، ثم معنوي كالنفقة والقيام بالاشتاء عامنة ومضاعفة الجزاء ، وصارت الكلمة تجتمع الى المعنيات فيقال تكفل فلان بالأمر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تعمم الكلمات في مداراتها التي كانت خاصة ، بالكثرة التي جعلت اللغوين ، يدعون ان الكلمات في شأنها كانت خاصة ، وما تعممت الا اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فأدرك الكلمات بعد ادراكه للجزئيات ، وهو ما ادركه المناطقة عموما ، فقال السلم مثلا :

من اوليات مشاهدات

مجريات متواترات

الي آخر اليقينيات التي نشأت من المشاهدات هذه امثلة من العربية ، أما غيرها ، فكلمة arrive بالانجليزية ، كان معناها الوصول الى River اي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا وكلمة Salary كان معناها التقد الدليل تصريف لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما يدفع للاجر او الوظيف عامنة وصارت تجتمع الى المرتب الشهري وهكذا نجد في عدد من اللغات يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام خاصا في معنى جديد غالبا ولغة كائن هي تشيط ومن هذه الوسائل التي توسل بها العربية في توسيعها او يمكن ان توسل بها الاشتراق من الزمان والمكان فالزمان ، كالصباح والفتاة والمساء والعشاء والضحى والقائلة والليل فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ، كما قال الافوه الودي :

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشاة فاصبحت
صرمت جبالك في الخليط المثثم
ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بدا
جفا » أي من سكن البداية اكتسب منها الجفاء
ومن المدينة ، قوله تمدن فلان ، اذا سكن
المدينة .

ومن البلد ، قوله ابلد بالمكان اتحده بلدنا
ومن الجنوب ، قوله اجنب القوم ، اذا دخلوا
في الجنوب
ومن الشمال ، قوله : اشملوا ، اي دخلوا
الشمال .

ومن الشرق ، قوله : شرق فلان ، اذا اخذ
في ناحية الشرق .
ومن الغرب ، قوله : غرب ، اذا اخذ في ناحية
الغرب ، قال الشاعر فيما :

سارت مفربة وسرت مشرقا
شتان بين مشرق ومغرب
وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكان ،
استفادتها من الزمان استفادة واسعة ، وهو ما لا نجد
في غيرها ايضا كذلك فقد نجد في الاسبانية من
الأندلس Andaluzada و
فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية
اللهجة كذلك ومن قشتلية Castillanizar ،
والمراد بها الاسلوب النسوب لكتستيلا يلقن للجانب
عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا تقاد
نجد هذا الاشتراق في غير هاتين الناحيتين ، وطبعا
لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي
تحرك في اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم
يكن هناك مصدر تعتمد عليه مباشرة ، وكذلك
الشأن في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » ماخوذ من
« River » ولكن توأميهم في Etymology تذكر ان
الانجليز أخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة
فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت:
Camino من Caminar ولكن الملاحظ في هذه
الحركة اكثر من الصيغة فيه ، ولهذا لم نذكره

فلما صرح الشر

فأمسى وهو عريان
بل ان « ليس » التي ادعى فيها النصان دائمًا
وردت تامة ، كما في قول التالية :
اذا ذهب العتاب فليس حب
ويبيقي الحب ما بقي العتاب
وهذا مبحث آخر ستناوله عند تناولنا للفة
في تراكيبها ، اما الان فنحن بعد مرداتها
ومن الاستعانة بالزمان ، قوله لنا الفداء ، لطعم
الفداء ، والعشاء لطعم المشاء
ثانيا - المكان ، تقول : انجد فلان صار في
نجد

واسهل صار في سهل
واجل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي :
وتفجرت عين النباهة بعدما
قد كان خاطرها اكل واجلا
اي انقطع ، والاصل فيه صعد في الجبال
وأوقل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من
هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكان
وأنهم صار في تهامة
وأيمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن
وعرض صار في العروض ، وهي مكة
والمدينة ، والطريق في عرض الجبل ، قال عبد
يفسوث :

فيما راكبا اما عرضت ببلقا
ندامي من نجران الا تلاقيا
وهكذا استفادت العربية من الزمان ، كما
استفادت ايضا من المكان ، فقالت اعرق وبدا وتمدن
وغار وابلد واعمن واثام واجنب واشمل وشرق
وغرب .

فمن نجد ، وغور قول الاعشى :
نبي يرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمري في البلاد وأنجدا
ومن العراق وتهامة وعمان ونجد ايضا ، قوله
المزق العبدى :

فان تهموا انجد خلافا عليكم
وان تغمضا مستحقي الحرب اعرق

«الطبيلة» باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة «البینکبونک Croquet» و «پینگ-پونگ Ping-pong» ربما تكون كلمة «التراتور» من هذا القبيل . وعلى فرض أنها مأخوذة من اللاتينية ، فإن هذه قد حاكت الصوت . فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حدثا . قيل لي طالب إسرائيلي ، كان يحضر على درس الفارسية . أني ادركت تماما معنى الكلمة «كرفتن» أي القبض والاستيلاء ، ولا شك أن ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الإسرائيلي أكثر من غيره .

الإسطoir ، فتسمى طائرة من الطائرات : مثلا، باسم المتناء ، أو آلة هالة باسم الغول ، وقد فهمت هذه انجلترا فسمت الآلة الرافعة للائقان العظيمة باسم Bogey ومنها الغول ، وأخيرا وجدها أميركا تتجه إلى إسطoir اليونان ، فتسمى باسم الله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالآرقام بعد، فيكون أبواب واحد واثنين إلى خمسة عشر ، وهكذا دواليكم ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom أي ببعع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الأشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، أو يضفي عليها لونا ، كالحمر الصفراء والسودين للتعم والماء أو يجمعها تصبح كنداء المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شهر صار بؤدي ما تؤديه الاسماء العتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك «صوت الضمير» و «دائرة السوء» التي جاءت في القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت «رؤوس الشياطين» وقد جاءت في القرآن ، وادركت «أنياب اغوال» في شعر امريء القيس :

يقتلني والشرف في مضاجعي
ومسنونة زرق. أنياب اغوال

وبعد هذا كله فللمفهوم ان تخترع ، وهذا من علامه حبوبتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الإسلام بجديد فاحتاجت اللغة إلى جديد في اللغة ، فاخترعت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير اهوالها وعذابها أو نعيم جناتها ، كالسلسلي ، والصمود ، وسفر ، وسجين ،

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطرق ، فهو مأخذ من الفعل لا الفعل مأخذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعل من الطرق بمعنى مفعول منه .

وباجملة فالزمان والمكان لها اهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع وأوائل الخامس كتابه القيم «الازمنة والامكنة» وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سأل احدنا عن هذا الكتاب ، فاجاب بأنه لا يعرفه ، يعني عنه بالتجهيز والتقرير . لأن مثل هذا الكتاب ، يجب أن يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فانا زيادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نعملها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود ، والتسمية بأحمر ثعود ، والاعتماد على اللون، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروقتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو نحو «الربع المجيب» و «الربع المقنطر»، وعند أصحاب الهندسة ، كالمربيات والثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاصوات، مما حصل هذا في «الربع الاحمر» لاصحاب زيت لوسيور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وقب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

- وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وتفقة طويلة ، يعللون اشتقاقةها .

اما النحاة ، فعتقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان التفويفين القدامي والحديثين ، والفلسفة في القديم ايضا ، استرعن نظرهم ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ التفويفية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعنيها ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية

نلقي النظرة الأخيرة على ميدان التعرّيب ، يكون بهذا تلخيص ما تقدّم وتبسيط بعض الجوانب منه ، بأمثلة منها ما يعيشنا ويسايرنا في تقلّباتنا اليومية ، ونحن في مضمون الحياة ومعترك الاحداث .

ولا شك أن امامنا مشاكل متعددة في هذا المضمار وذلك المترنح . فهناك العامية ، التي يجب ان نأخذ بيدها ونسمو بها الى مستوى راق . بدل ان ننزل اليها من هذا المستوى الراقي ، وهناك الفن ومذاقه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة في لوحاته الزاهية والشاحبة والقاتمة ، برسومه وموسيقاه ، التي أصبحت تتطور مع الايام بأدواتها وأصواتها ، الى جنب ذلك الرسم الذي لا يقتصر على المشاهد ، بل أصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التي قد تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبّح في عوالم خارقة للعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات ، بلغات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر طالب لا يعترف حتى بسلطان النفيسيات والسجلات للخطرات الربيبة ، في سهولة تردد منه او اسلام ينقاد به ، انها الثورة التي يريد لها الخيال الجامح في اعلانها المكروه لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل في غاياته عن غيابات الرسم ، وان كان طريقه ورعا ، تكتنفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاوحال عليه ان يفوض فيها فهو على رعنونه ، أصبح لا يقل عما عليه الرسم في اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهو كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقلبه من هو كل يوم في شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقّات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل الانسان من اماناتها ، وقد ابى السماوات والارض والجبال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فلماين ان يحملنها وابشقن منها وحملها الانسان انه

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعى كونها معرفات .

وهذا ليس بدعا في اللغات عامة ، وعندنا كلمة *Gaz* تعيش في كل مكان . ولا يعرف لها أصل البتة.

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل ساله عن اسم المصنوع ، فقال له هذا الصانع : كيف تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم رسوما متكسرة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ، ودعاه « كيكريكو » ورسم الى جانبها رسما آخر . عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاه « ابر » ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين « كيكريكو » فكلهم اجاب بأنه صاحب الرواية العادة ولا شك انهم يدركون العلاقة بين ترجمة ملك التركيبة والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » . واعرف سيدة اخترعت الكلمة « زوطوطو » فشارط الكلمة في الوسط العائلي ومن الكلمات المختربة كلمة « رووكو » Rococo وهو من اسماء الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيرداد عليها ، ولن تقف مكتوفة ، بل ستشتق منها فيما بعد ، شأنها شأن باقي الكلمات في العربية . سأل الضيف صاحب المنزل عن طعام ، قد اتي عليه ، فأغاظ صاحب المنزل الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فاجابه بفظ : « الكجدور » فقال له : « على ش ما كجدر تoshi منو بزاف ؟ وهكذا اشتقت من الكلمة الفريبية عليه ، بمجرد فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام الولود ، التي تمكن اولادها من حرية التصرف ، فيشتقولون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره ، كما يشتقولون من dale المركبة في الإسبانية من فعل أمر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دلا عليه ويدالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعرّيب في مفهومه القديم والحديث والوسائل التي تمكنتنا من سد الحاجة التي نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ، وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

ويطبق على ذلك قواعد ما يتبه عنده . كما عليه ان يخترع اسماءجديدا لهاذا العلم ، والكيماوي عليه ان يحلل عنصر ما في هذا الكون او الاكون ، ويسمى تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المذاولات قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهم اباء ان يقولوا لمرائى تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا انتا بشر
من التراب وهذا الجسم روحي
او فابتفي فلكا تأويته ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الغاني

لان هذه المرائى تأوي فعلة هذه الافلاك فلم تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان هتك استارها وكشف خدورها فتجلى مفاهيمها للابصار ، وانبهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذى ستلوه اكتشافات ، قد تطلبآلاف الالات والادوات ، فعلى اللغة ان تسمى كل ذلك بدقة وفهمه للافهم وليس بقادره على هذا الا اهل العلم انفسهم ، وقد وضعت اللغة امامهم وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز وكالتشبيه وحكاية الاصوات والنحو والتخصيص والتعريم وكالاستعارة من اللغات بعضها من بعض وكالاختراع للكلمات وخلقها من العدم ، اذا لم نجد فى هذه الوجود ما تستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما الى ذلك او مما يسعفنا بمماطلة ما ولو فى الوهم او الخيال الذى يساورنا او يخلف لنا من اساطيره وخرافاته .

لقد سمى آباؤنا سائل الكلوينيا ، باسم «سيكيوك» فاسعفتهم الرائحة ، واخترع «شيكسبير» اسم «دولار» قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا الدراجة ، باسم «عود الريح» معتمدين على السرعة فى الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووقفوا كل التوفيق (وفى الفارسية «دوجرخه » اي فلكتان) اذن فالمرزم اولا هو ما تذرع به ، فى مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما وهنوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم فى تدوين الدوائيين ، ونقل العلوم المختلفة والاداب المتباعدة والعقائد المتصاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك اقدر منا فى العربية ولا افهم منا لتلك الطعون

كن «ذاروما جهولا » هو ظلوم عليه ان يتصرف نفسه وينصف الناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما يبني رغبات الانفنة فى هوانها . والمعقول فى مناطقها ، والجسم فى علاتها واسقامها ، وصحتها وملاذها . من المشاهد والاذواق والمشاعر والاسماع .

فهذا فى الكلام فى آدابه ، التى تتولد وتتفاعل فى الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجمعيها فى تطور مطرد وفي انقسام هلامي مستمر ، وفي استقلال بيء اصحابها وارطانها ومجتمعاتها وافكارها وثقافاتها ، بعد اللغات ، وقد أصبحت تعد بالآلاف .. واصبح على الانسان ان يفهم كل شيء ، وقد واجه فى حياته كل شيء ، فخيّمت عليه الظلال من كل مكان ، ووجهت عليه الانوار والنيران ، فعلى هذه اللغة ان تتمدد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل عزم وقوه ، فتمثل دورها فى جميع المحافل خير تمثيل ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفه التى اصبحت من هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فعليها ان تسزوي من مسرح الحياة الجديد فى جميع فروعها ، حتى «الميتافيزيقا» نفسها ، فمهما كانها صعبة فى هذا العالم الصعب المقد ، الذى لا يرحم احدا ولا يرحم عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلسفه الكبار ، فعليهم ان يفهموا ويسطوا عليهم ان يقنعوا العقول وهي فى زيفانها وصراعها للایكترونيه العملاق .

وهذا العالم لم يبق بالرتابة او القداسة التي كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب الاخيره ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت الدنيا تميد بها ، واذا بالافلاك والنيسرات تناجسي الانسان فيطالب العالم بان يحمله الى هذه الكواكب والافلاك ، فلا يجد المسكين مناص من ان يستجيب لطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتکفل بالعودة به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف فى ارجائها ويحمل من متعها ويستعم من بقاعها ، فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه «العالمو العليا» .

فالجغرافي عليه ان يخترع ما يتبه علمه لهذه الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسماء خاصة لهذا العلم ، والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ،

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهالكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا تستفيد من وجودها في الخارج او نختارها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها في تعريب الانلافات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتاب والمثقفين حقاً والمتخصصين في العربية تخصص عملياً . فلا ترك الصحافة في ايدي من لا يحسن لغتها من المتطلعين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة في هذا التعريب ، فعليه ان يختار الموضوعات التي يستفيدها الشعب حتى يقبل عليها في لغتها ، فتعمل فيه بطريق الابحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومرحه في الواقع أفسح من غيره ، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب ، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحانها السجية واعದناها بالموسيقى العذبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب ، فهي الصوت الذي يصبحنا ويسينا والشاهد التي تحبينا وتسامرنا وتناجيينا .

اما المدرسة والكتاب فبني امرهما عن البيان ، ولابد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت في كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صدأه في اذاعة طوان وفاس ولكن التذكير بهذا انتقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الفلال على علم به مني .

واخيراً ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب في حركته الدائمة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات في تركيبها ، او تعريب الاساليب ، انصح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معرجاً بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبيها ، وليس في الامكان ابدع مما كان في بنيتها ، وارتقت الاقلام عن تسطيرها وجفنت الصحف بما فيها .

اذا ان هنالك ، جواب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي في الواقع محاظة على ذلك الكيان اللغوي الذي هو بالنسبة اليها القلمة العتيقة والحضن الحصين ، الذي يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دماء هذه اللغة الآبية المستينة الصامدة .

والادب وغيرها ، بل كانوا دوننا في ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا يتوفر عليه ، وهو الشعور بالعزيمة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا لهم ، لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ، في يسر كل ما وصلوا اليه او اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذي يجب ان نقفه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف ، لا محالة . يدعوا الى انتخاب ، بعد تلك العزيمة ، والى النهل من العربية والتمعق فيها . حتى يمكن كل عالم او صانع او مفن او مختلف ، ان يتولى ما يراوله او يعانيه بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبته والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ، والمتخصص والمفن ، كل ما يتصل بهاوته والصانع كذلك يعرب ما يتصل بصناعته ، وقد مكناه من ذلك بالتعليم ، الذي يسير في ركب هذا التعريب .

ولا نهلل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذي يمدنا بنحو « عود الرياح » و « مسيكو » و « الصدفة » و « الكسكاس » و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات التي تخضع للعربية وقوائينها ، كما تلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الإسبانية والкро من Cigarro الانجليزية ايضاً انا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا تتركها لمنها هذا ، وفي آخرها او قبلها ضمة لازمة ، بل تختتم بهاء مثلاً ، كما فعلنا في يشه وليله وسيبوه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عفريتة » في عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العامية .

كما نستعين برصيدنا في الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون ومنها اخذتها باقي اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية والتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجاري اللغات الحية التي استعانت منا ولنا الفضل عليهم ؟ وبما تائف من هذا ، فلم لم يائف غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسني Dentiste كما في اللغات الاوربية والتركية ؟ علينا ان نجاري غيرنا في ذلك ، وقد استعملت هذه التسمية « دنتيلة » في الاندلس وان كانت في الاحتفال يبدو الاسنان ، والمعنى بعضهم ان لها اصلاً في الفصحى ، وتوقف الزبيدي هنا .

و لكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت بمثله في غير هذه اللغة الشريفة نسمع دائمًا و تقرأ دائمًا ، وخصوصاً في صحفتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » و نسمع و تقرأ في صحفتنا المكتوبة ، ما هو افظع من هذا وادهى ...
نسمع و تقرأ :

« سوف لن يأتي فلان » ، فض الله فم من كان اول الناطقين ، بتلك العبارة المسوخة ، وهذه العبارة الملعونة من السماء ، لأن الله ما انزل بها من سلطان ، ولأن كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه سوف تراني » فعلمـنا كـيف تـعبر بالـمستقبلـ المنـفي « لن تـراني » وـقـابلـ بهـ المستـقبلـ الشـبـتـ « فـسـوفـ تـرـانـي » .

اذن فـادـاةـ الاستـقبالـ فيـ الفـعلـ العـربـيـ المنـفيـ ، هيـ الاـدـاةـ « لنـ » فـتـقولـ « لنـ يـسـافـرـ فـلـانـ » فـىـ المـسـتـقـبـلـ منـ الزـمـانـ ، وـلاـ تـقـولـ « سـوـفـ لـاـ يـسـافـرـ » ، وـمـنـ الـمـخـجـلـ انـ تـسـتـعـمـلـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ ، قـىـ التـمـثـيلـيةـ التيـ جـابـتـ مـصـرـ فـعـرـضـتـ فـيـ تـلـفـزـنـاـ بـمـنـاسـبـةـ الـمـوـلـدـ الشـرـيفـ ، وـهـيـ تـحـكـيـ حـوـارـاـ كـانـ عـلـىـ عـهـدـ الرـسـوـلـ ، عـلـىـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ .

وـافـظـعـ منـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ ، هوـ « سـوـفـ لـنـ يـسـافـرـ » ، فـتـلـكـ جـهـلـاءـ ، وـعـدـمـ اـكـتـرـاثـ بـالـلـفـةـ ، التيـ ظـنـ اـصـحـابـهاـ الـيـوـمـ ، كـانـهـ قـبـلـ لهـمـ فـيهـ : « تـكـلـمـواـ كـيـفـ شـئـتمـ » ، وـصـدـقـ الشـاعـرـ :

رأيت الحلم دل على قومي
وقد يستجهل الرجل العليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي تعدد الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما ابغضه من استعمار، تخلص منه الناس، ولم يتخلصوا من ادواته العديدة، التي منها هذا الداء الويل، فقد ثلق احد الكتاب الطفيليـنـ ، وما اكثـرـهمـ وأـسـمـجـهمـ، مثل هـذـهـ التـعـبـيرـ الـأـنـجـلـيـزـيـ I shall not come عليه عـربـيـتهـ المـعـذـبةـ ، فـقـبـضـتـهـ الـأـثـيـمـةـ ، فـقـالـ : « أنا سـوـفـ لـاـ آتـيـ » او « سـوـفـ لـنـ آتـيـ » ولو أـمـعـنـ جداـ فيـ التـعـبـيرـ الـذـيـ سـحـرـهـ ، لـقـالـ : « أنا سـوـفـ لـ آتـيـانـ » هـكـذاـ ، وـهـوـ تـرـكـيبـ لاـ يـوجـدـ الاـ فـيـ الـأـنـجـلـيـزـيـ وـالـأـلـمـانـيـ بـهـذـاـ النـسـجـ وـهـذـاـ التـرـتـيبـ ، وـلـاـ تـرـفـ لـهـ مـشـيـلاـ فـيـ لـغـةـ أـخـرىـ غـيـرـهـماـ ، وـهـكـلاـ نـجـدـ

انـ العـرـبـيـةـ كـمـاـ قـلـنـاـ ، كـرـيـمةـ كـاـصـحـابـهاـ مـضـيـافـ تـكـرـمـ نـزـلـاهـاـ ، فـوـجـودـ مـائـاتـ اوـ آلـافـ مـنـ الـكـلـمـاتـ الدـخـيـلـةـ فـيـهـاـ لـاـ يـهدـدـ حـوزـتـهاـ ، بلـ بـالـعـكـسـ يـزـيدـهـاـ قـوـةـ وـيـكـسـبـهـاـ مـنـعـةـ ، فـيـ مـواجهـاتـ كـلـ الطـوارـيـءـ .

ولـكـنـ العـبـثـ بـالـنـظـامـ التـبعـ فـيـهـاـ ، وـاحـدـاـتـ الغـوـضـيـ فـيـ مجـتمـعـهـاـ ، هوـ الذـىـ لـاـ تـقـبـلـ بـحـالـ . وـعـوـنـ الـذـىـ يـجـبـ الاـ تـقـبـلـهـ ، كـمـاـ لـاـ يـقـبـلـهـ ايـ عـرـفـ مـنـ اـعـرـافـ الـلـفـاتـ قـاطـبـةـ ، وـهـيـ لـفـاتـ لـهـاـ كـرـامـتـهاـ وـنـهـاـ وـجـودـهـاـ الـازـلـيـ وـالـخـالـدـ خـلـودـ الـدـهـرـ .

وـنـعـودـ فـنـقـولـ ، اـنـاـ لـنـ نـطـيلـ فـيـ هـذـاـ التـعـرـيبـ التـرـكـيـيـ . وـسـنـقـفـ وـقـفـةـ قـصـيـرـةـ : عـنـدـ بـعـضـ الـاعـرـاضـ وـلـاـ تـقـولـ الـاـمـرـاـضـ الـتـىـ طـرـاتـ عـلـىـ هـذـهـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ عـصـرـنـاـ الـمـرـيـضـ بـرـجـالـهـ وـمـثـلـهـ الـعـلـيـاـ .

فـأـوـلـ تـلـكـ الـاعـرـاضـ ، بـلـ اـوـلـ تـلـكـ الـاـمـرـاـضـ ، معـ الـعـدـرـةـ ، مـرـضـ حلـ بـمـسـتـقـبـلـ هـذـهـ الـلـفـةـ ، نـعـمـ ، حلـ بـمـسـتـقـبـلـهـاـ معـ الـاـسـفـ ، وـلـكـنـهـ حلـ بـمـسـتـقـبـلـهـاـ السـابـيـ ، لـاـ اـيـجـابـيـ ، لـحـسـنـ الـحـظـ ، وـلـلـهـ الـحـمدـ عـلـىـ كـلـ حـالـ .

مـنـ الـمـلـوـمـ ، اـنـ الـافـعـالـ فـيـ الـلـفـاتـ ، هـيـ مـفـاتـيحـ تـلـكـ الـلـفـاتـ ، بـلـ هـيـ حـيـاتـهـاـ التـىـ بـهـاـ يـكـونـ حـيـوانـهـاـ ، وـالـحـيـوانـ فـيـ الـوـاقـعـ ، مـاـ هـوـ الاـ حـرـكـةـ الـجـيـاشـةـ ، كـالـفـيـضـانـ وـالـفـلـيـانـ وـالـثـورـانـ وـالـجـيـشـانـ نـفـسـهـ ، وـبـهـذـا الـاعـتـيـارـ ، قـالـ تـعـالـىـ : « وـانـ الدـارـ الـآخـرـةـ لـهـيـ الـحـيـوانـ لـوـ كـانـوـ يـعـلـمـونـ » وـبـذـلـكـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ فـيـ مـدـلـولـهـاـ الـآنـ قـدـ اـنـحـرـفـ عـمـاـ خـلـقـتـ لـاجـلـهـ .

وـهـذـاـ لـاـ يـهـمـنـاـ الـآنـ ، فـقـدـ اـنـتـهـيـنـاـ مـنـ الـمـرـدـاتـ ، كـمـاـ قـلـنـاـ وـعـلـيـنـاـ اـنـ نـعـالـجـ مـسـتـقـبـلـ هـذـهـ الـلـفـةـ فـيـ اـفـعـالـهـاـ السـلـبـيـةـ ، وـهـيـ التـىـ تـحـاجـ اـلـىـ عـلـاجـ نـاجـعـ وـسـرـيعـ .

تـقـولـ سـوـفـ نـفـعـ ، كـمـاـ تـقـولـ سـتـفـعـلـ ، وـهـذـاـ الاـخـيـرـ مـخـتـرـلـ مـنـ الـاـولـ ، وـكـانـ قـدـ عـمـلـ فـيـهـ هـذـاـ الاـخـتـرـالـ ، فـقـيـلـ سـوـ اـفـعـلـ ، وـسـوـ اـفـعـلـ ، وـاـخـيـرـاـ سـافـعـلـ ، فـوـقـعـ الـاـقـتـصـارـ عـلـىـ حـرـفـ السـيـنـ وـحـدـهـ ، وـاـهـمـ الـاـقـتـصـارـ عـلـىـهـ مـعـ الـوـاـوـ اوـ الـفـاءـ ، وـحـوـفـظـ عـلـىـ الـأـمـرـؤـومـ « سـوـ اـفـعـلـ » وـهـذـاـ جـمـيلـ فـيـ هـذـهـ الـعـرـبـيـةـ التـىـ تـجـدـدـ وـتـتـطـوـرـ ، وـلـكـنـهـ لـاـ تـنـكـرـ لـلـمـاـسـيـ ، وـلـاـ تـعـقـ الـأـمـوـمـةـ وـالـأـبـوـةـ .

هـذـاـ هـوـ الـفـعـلـ الـمـسـتـقـبـلـ الـوـجـبـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ ، سـلـمـهـ اللـهـ مـنـ كـلـ بـلـاءـ ، وـدـرـاـعـهـ كـلـ اـذـاءـ ، فـبـقـىـ كـبـيـرـ وـلـدـتـهـ اـمـهـ عـلـىـ فـرـاشـ الصـوـنـ وـالـمـفـافـ

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او saupa الaramie على تعين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغير في اللغات الانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه احيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « ي يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، يكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سأفعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل أصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « أنا لا أصبح أحيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو « غادي » او « ماشي » او « خصني » او « نحب » التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواح والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسانية الآتية من اللاتينية في غير العامية

هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما أصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى أن النون ، حلت محل الالف من « لا » للتاكيد ، ومنهم من يرى ان اصلها « لا ان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات - ما عدا التركية - استعملت النون للنفي هنا ، أما التركية فاليم وهى اخت النون التي طفت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل فى العربية ، اذا نفي يكون بن وحده ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها فى السما
فمر الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودا
وان تستطيع اليك الترزاولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت فى اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وأبنته فى مجلتها « Ibla »

العبارة المذكورة . تكون فى الالمانية ich werde nicht kommen سواء سواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال ، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هنا المسوغ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من نخواهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تأتي بالمصدر المرخص وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله منه جسم » ويبقى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية ، كالاسبانية ، فإنها تأتي باداة النفي ثم المصدر المرخص ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

وبلاحظ أن هذه اللغات - ما عدا الانجليزية - تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، باداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تمحف الحرف الموصوى ، والالمانية تأتي بال المصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترجم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحدد فى كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية ، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما رأينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل فى معناه الاصلى ، اذ لا مهمة له فى الاستقبال « We shall become the same. We shall be one spirit » وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة فى الإثبات ، وهي « سوف » او ما اخترل منها ، وواحدة فى النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان فى اصلها ، بنىت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergstraesse يرى أنها مستعارة من الaramie Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل فى النهاية والغاية .

يقول علماء الالسن ، ان اللغات السامية - ما عدا الاكادية منها - ليس لها الا زمان ، ماضى قد انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر وال الحال والاستقبال .

الفُصِحَّى لِغَةُ الْقُرْآنِ

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليون مسلم جغرافياً ويمتد أربعة عشر قرناً في التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندى (القاهرة)

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكون صحيحاً في أي بلد من بلاد العالم وفي مواجهة اي لغة ولكنه يصبح عسيراً جداً حين يطرح بالنسبة للغة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام كان يمكن ان يكون هذا الكلام مقبولاً .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرناً باللغة العربية فأنشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد أصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له في اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقلية تخص قطراً ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الارادة في التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بها المفكرون المسلمين منذ أكثر من ثمانين عاماً تلك المحاولة التي قام بها ولوكسون في مصر وماسينون في الشام وكولان في المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان أخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم في العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (اي ما كتب قبل نزول الاسلام باكثر من نصف قرن) .

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل الذي حمل لواءه رجال امثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي باشا الملقب بشيخعروبة ، وعبد العزيز جاويش ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوفي ، وغيرهم في سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقادها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الان أكثر من خمسين عاماً من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء في عهد الحماية البريطانية ودعوات في الصحف وبعض الماجazines من أجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصل المتكامل ، ومحاولات تصوير اللغة العربية على أنها لغة « امة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتغيير ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاCLAAM في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة امة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققاً هذه الغاية .
وكان هذا الاتجاه في طرح القضية يحمل طابعاً خطيراً من التمويه والتزييف والتجاوز .

اي ان تراثا حافلا قام في خلال هذه الفترة كلها
— واعظمها ما جاء بعد الاسلام بالطبع — هذا التراث هو
ملك حر لقراء اللغة العربية يلمون به العاما صحبيا
دون ان يكونوا في حاجة الى مراجع او معاجم ويفهمونه
فعما صحبيا . وهذا ما لم يتيسر بالقطع لاي لغة في
العالم كله اليوم ، وذلك ان اي لغة قائمة الان بخلاف
اللغة العربية لا يستطيع قراؤها ان يفهموا من تراثها
الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم
يلتمسون لفهمه المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغة
العربية الذي لم يتزع لاي لغة اخرى ، ومرجع هذا
الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحو
الذى انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتراث
والتأليف .

ومن هنا أصبح للفة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الأخرى أن تشاركها فيها ولا تستطيع هي أن تجاوزها : تلك هي أنها لغة أمة ولغة فكر ودين . فهي لغة الأمة العربية التي يبلغ تعدادها أكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي في الوقت نفسه لغة المسلمين جميعاً : لغة فنر هم ودينهم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالشرع والمقيدة جميعاً وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحد الذي يواجه أهل اللغة العربية هو أن يسقطوا عن مستوى اسلوب القرآن ، ليصبح اسلوبهم قاصراً عن فهمه وتعجمه ، لأن ذلك من شأنه ان يفصل بينهم وبينه ، وذلك ما تحاوله القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهם الى ما يسمى باللغات الوسطى او تغريب الفصحى من العامة .

واما منا القرآن وهو المقياس الثابت وعليها في كل حركة من حركات العمل ان تقترب منه ونلتقي به ، فعلى العافية ان تقترب من الفصحي وليس على الفصحي ان تبتعد الى العامية .

والتعليم كفيل اذا اتسعت آفاقه ان يقلل من الحاجة الى العالمية وان يقرب الاتصال بالفصحي .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربية التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق

(12)

هذه الحقائق كانت واضحة في اذهان أولئك المنافحين عن اللغة العربية في كل عصر : نراه واضحاً في عبارات مصطفى صادق الراafني قبل خمسين عاماً حين تعرّض للقول بأن المعرفة لغة أمة أم لغة فنك :

من احوالنا وعلى كل حال فليس من شبه بين اللغات الشتقة من اللاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميّة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرنا ، لم تحط اللغات العامية الكثيرة من قدرها من شيوخها ، ولو امكنها ان تزعها عن مرتبتها لفعلت ، لما كانت اللغات العامية سائدة بين الشعب لا تراهم المدارس والمطبع والإدباء بتاليفهم ومشوراتهم العجمية والسيارة على اللغة الفصيحة (2)

(4)

وليس ادل على قوّة اللغة العربية من عبارة ارنست دينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« ان من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال ، سلسلة اي سلسة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا اي تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول امرها تامة مستحکمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا سوانحهم بالعربية ليفهمها النصارى .

من اغرب المدهشات ان ثبتت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرجال ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانَت هذه اللغة مجھولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

ومن عجب ان يكون هذا رأي اهل العرب فيها ثم يقوم من ابنائها من ينتقص من قدرها وينعسو الى العجميات ويحاول ان يتزعمها من مكانتها العالية .

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدى على وجهه العربي الصحيح ، ويحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الإخلال بخرج الحرف الواحد منه كالاربع بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مفادها بحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر ، ثم هذا المعنى الإسلامي ، الدين ، المبني على الغنبة والمعقود على القاضي الامم ، والقيم على الفطرة الإنسانية حيث توزعت وأيّن استقرت ، فالامر اكبر من ان يؤثر فيه سورة حمق او تأخذ منه كلمة جهل » .

« إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهلها مستعرين به متغرين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم إليها وأوجبها عليهم لما اضطرب التاريخ الإسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماست أجزاء هذه الأمة ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية ثم تلاحمت أسباب كثيرة بال المسلمين ونضب بانيهم ولم يبق الا ان تستلحهم الشعوب وتستلحهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبيّن من آثارهم بعد ذلك الا ما يثبت عن طريق الماء اذا انساب الجداول في المحيط » (1) .

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : بقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلفة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقيت كلفة للكنيسة والعلماء . أما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتکيف بتکيفات مختلفة حسب الامكنة والأزمنة والمعاصر ، ولم تكن اللاتينية لغة الاصلية وانما كانت اخرى : كالسلطة السکونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وتنوع الكتبة وفتح المدارس وتاليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متباينة ودول مستقلة، فاين كل ذلك

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أَحمد الأَخْضُر غُزَالٌ

مدير معهد الدراسات والابحاث للغريب

— الرباط —

وبعلومه وحفافه ولسانه وشفتيه فيخرج الكلام بكل انواع اصواته الشديدة منها المتوسطة والخفيفة والتقليلة والطويلة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائب سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغویة :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجهما بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان وكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام لـه اسباب ، وهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها التي تنشأ عن اسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصواتيات يخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوائت (فونيما) التي تشكل الحروف و يجعلنا نقف عند حدود الفوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صوينة الباء بالنسبة الى صوينة الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلفظ بهائيين الصوينتين . فان صوينة الباء يتطلب اخراجها مجهودا اكبر من المجهود الذي يتضمنه اخراج صوينة الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

1 - القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي تستعملها داخل الفم لاخراج الاصوات اللغویة بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدنى بالمساهمة في انتاج الكلام على أساس تشقق نفسيانى بديع يتصرف في عمليات بدنية متسللة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشأها ذبذبات فيزيائية . تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتحتحول عندما تصدم العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية) تترسّب الى ملابس الخلايا الدماغية لتشير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنطلق من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشيء موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتحتحول الى سيالة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتشير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسيانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان يثبت الامر بالإجابة فترسّب بالسيالة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطته اعصابها العضلية المتحكمة في اجهزة الكلام كالحنجرة وأوتارها وغضاريفها وكالفم

المفتوح وحاملا صوت الباء الجهمية عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العمليات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حر كاتها الدماغية والعصبية والعضلية الدقيقة هي
التي تتطابقها الباء ونحن غير شاعرين .

اما الباء فلا شيء من ذلك فيها الا خروج الهواء
انما يحمل ذبذبات الوترتين الصوتين بينما تكاد أعضاء
الفم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء حفيظ بالنسبة الى القاف والكاف
والراء والخاء والشين والصاد وثقل بالنسبة الى
الباء والعين والغين والفاء والهبة الخ . . .

وإذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف ذلك لسبب أيضاً اراده العقل ليعبر عن
الشدة مع الاصوات الشديدة وعلى اللونة مع الاصوات
اللينة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الربيع : هبت
سمع صوت هبوبها ، وهب الربيء : هف وغض
الرجل : اسرع في سيره والهف انخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسمك الصغار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما بين : قض عليهم الخيل ارسلها ونشرها وقض
الحالات هذه هدمه هدماً عنيفاً وقض الوتد : قلمه وقض
الشيء دقه وقض السير او الور ، سمع له صوت
كانه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكما خفت في
هف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستساغة ،
استساغة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت
الباء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطابق القاف والراء
مثلاً فان اصوات الحروف وانجامها ورنيتها وأجراسها
موضوع استحسان او استحسان من طرف الانسان
(انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن) ،
فالحال لطيفة والباء ثقيلة) فلكل لطيف واثيق وجميل
وحلو ومطرد ومفرج ومسعد اصوات لطيفة لينسة
موسيقية ، ولكن خشن وثقل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ . . اصوات تناسب تلك الصفات بمعانٍ
اصواتها .

وهذه الاشكال اتبه اليها فقهاء اللغة التدبّر
فخصصوا لها أبواباً مشهورة عنونوها بـ مطابقة النقط
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جنى ، كما الفوا
فيها كتاباً أشهرها قاموس مفاسيس اللغة لاحمد ابن
فارس ، الا ان علماءنا المحدثين من تلمذوا على

فيها الاستطلاعات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية
التي تناسب معها السيالة المصبية ، وهذه المشبكات
تشبه مرايا كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيموية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والببور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ . . . والكل منماث (ذاتي) في سائل
خاص يسمى الخليل الممراري (الاستيكلوليسن)
والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيالة . وهذه
السيالة مهمتها حمل الاهاجات (اي الطلقات العصبية)
إلى الوحدات العصبية الأخرى او إلى أجهزة التنفيذ
المحيطة كالعضلات مثلاً . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طبقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحادي لترتفع الايلاع فتنتفع الرئتان اذاك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتتسرب اليهما من
منفذ الانف او الفم او منها معاً - بعد ان حصلت في
مشبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لأمر عضلات
الفم بفتحه - فينساب الهواء مع الرغامي (اي القصبة
الرئوية) الى القصبين اللذين تشبعان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث اهاجات أخرى في الدماغ امررت
عضلات الحنجرة بابعاد الوترتين الصوتين الواحد عن
الآخر لينفسح المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين -
تم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدي على الآخرى عندما
تضفت الرئتان الهواء ليغير منها مترباً مع الرغامي
فيجد الاوتار الصوتية قد تباعدت لتسمع له بالمرور
فيصل الى البلعوم وعند ذلك او قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده ما منها
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفتنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد التفود من بين
الشفتين فيجدهما منطبقين كما اسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصاً
ويزداد انضم الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتدد ضفت الهواء على الشفتين وعلى الشدقيين
وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضفت
بالتقبض والتقلص ، واذا بالوترتين الصوتين يقتربان
ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحين
الحجيري الذي سيجعل من حرف الباء حرفاً مجوراً
لا مهموساً فتحصل اذاك عملية الترنب وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تبتعد الشفتان الاحدي عن الآخرى
وينفلت الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجاً من الفم

الزيادة في المبنى زيادة في المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات في الأوزان . فحصر جمعه بحور وبحار وبحرة وباحر وباحر ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتركيب اختلف فيه كما اختلف في ما سبق لعدم توفر مواد البحث في ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده وشكاله فلم يغيروا الحركات الامامية التي تستحقها وغليت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة في العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او في ما هو ضمني باعتبار الاعراب . كل ذلك لفافية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اسف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سمعانية شاذة مما ادى الى بلبلة الافكار واللجهوء الى السماع مع البقاء على فكرة القياس رمزيا لأن احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحتلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوقفوا في بعض نواحيها بقدر ما فشلوا في معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمتابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها اخف الحركات العربية لذلك كثرت في اللغة وقالوا عن الضمة انها ائقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها اقلها . اذن بنا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سخحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى في عصرنا الحديث والفتى كتاب المشهور « احياء النحو » الذي كان له اكبر صدى في هذا الميدان فعمل الفتحة بأنها اخف الحركات وانها تدل على شيء وعلل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها .اما الكسرة فأنها علم الاضافة ، وأشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير ادأة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معانى الحركات في الاعراب (انظر أسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علمًا لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيسيبوه ، واما ابراهيم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث الغبية لأنهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لأنهم لهم يحافظوا على لفتهم الاصلية فاصبحت لفاظهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستاغنة ، فهذا الشعب الانهاني مثلا يستحسن صوتية الحاء وصوتية الراء الرنانة ، بينما الشعب الفرنسي يستحقها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تفنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكي يستحسنها – وبينما لا نرى شعوبا اوروبية يجيد صوتية الاو (او) اذا بالشعب الفرنسي يكثر منها – وتقلب صوتية الشين في البرتغالية ، كما يتقلب عملية التغير البليومي في اللغة الروسية ، وما احلى صوائب الحاء والهاء في اذنا ، وما ابجها في اذن غيرنا النغ .. من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا في موضوع لغة اصلية بالنسبة الى شعوبها الاصل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن اسرة الى اسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على اسس متينة في مدة قصيرة لأن في هذا المطلب من التداخل بين الاوصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وبالاعتبار الاقمية والاحادية وتغير الصوائب عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو في الحاجة الى تضافر الجهد وتبادل الخبرات وتوفير اجهزة المدد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبدادر الى الذهن انن هذا العلم في متناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلاما ! وحدار ثم حدار ! لأن اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقّة والاجتهاد وسعة الاباع ان اجادوا في بعض هذا العلم فان وسائل نقصتهم فتوهموا في بعضه الآخر .

وإذا كانت الحروف تتكون من الصوائب فان الكلمات تتكون من الحروف . وإذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معانى الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معانى الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التركيب للمعاني كذلك وقالوا ان

لأنه يتغير وليس بتات كالأسماء ، ولا تضم إلا إذا بني للمفعول . فيبقى الفتح فيفاء كل فعل ماض - أما الحرف الآخر فهو مبني على الفتح إلا إذا طرأ عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق أنه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر إليها ويرى وان السماع هو الأساس يد الله إذا تبعنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معانى الحركات قد تهندى إلى شيء مضبوط ناتج عن الاصحاء من جهة وعن اختيار قانون الجهد والكليل المهيمن على كل ما هو من قبل تصرف الإنسان في عميق حياته . إذ منذ أن ظهر الإنسان على البيضة إلا وحاول وما يزال يحاول أن يوفر لنفسه أسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما أدى به إلى هذه الاختراقات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيداً والماده لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه أن يلبى رغابته و حاجاته وأماله بلا تعب ولا مشقة . اضف إلى ذلك أن له نشاطاً عقلياً جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الأغراض والهوايا والأمني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الأسباب التي دفعتنا إلى تركيز البحث على معانى الحركات التنافسية الظاهرة في مدارلاتها .

في هذه اللغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على أساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت إلا مع علامات خاصة توضع فوقها أو تحتها وهذه العلامات لا تنطلق وحدها لأنها لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الأوروبية حيث « او » (٥٤) مثلاً تفيد مدلول المكان ، أو التخbir يعني أنه لا يوجد لفظ مكون من حرفة واحدة والكلام كله صواب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق يعني فتح الصمت) فهو مكاشفة و مباشرة من الكشف اي رفع ستار عن المختبئ ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يتكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفترض ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي افطاراً من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خلقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرق وخرج وحرك الخ . والحركة

السامري فانه يقول في الفتحة أنها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد أقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعتبار ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . أما ايات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبي والمزهر إلى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجو هذا الموضوع عبد الله العلaili الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخصه له التلبيس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسي الآخر فلا فادة معنى زائد . فإذا أردت الدلالة على التفوقية أو التركب فسوق الدلاله على التلبيس بالحال الفعلية تنقل الفعل إلى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفاخرة والمبالغه (فامرته فقرره فانا اقرره) وإذا أردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل إلى فتح يفتح ولا تلق بالا إلى ما اشتراه اللغويون من أن هذا الباب خاص بما كان عينه او لامه حرف حلق فهو تقدير واهن . . وإذا أردت الدلالة على التغير خلوا وامتناء وجوداً او عدماً تنقل الفعل إلى علم يعلم . . وإذا أردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل إلى حسن بحسن وإذا أردت الدلالة على التجزو (والقسم تنقل الفعل إلى باب ورث يرث (انظر المعجم للعلaili) .

وهذه الأقوال كلها أما تكرير لما قاله القدماء وأما استنباط منها ، إذ قالوا اجمالاً ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضبط ، منها الغلب : قامرنى فقرره فقرره اي اغلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تدرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائض والطبائع قيداً على لزوم مداولاتها لأن ما يقتضيه الطبع يدوم بدواه وتكثر فيه العلل والاحزان وأضدادها . . وتجيء في غير فعل الا أنها فيه أكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال الازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخصوصاً الضم بها لانضمام الطبيعة إلى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف ويني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

الفم من العض والقطع للماكولات وهذه العملية عملية اقفال الفم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الأساسية ليعيش أما ابعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا أنها ضعيفة ، وهي ذات البطنين *Digastrique* والضرسية الامامية *Mylohyoïdien* والذقنية الامامية *Géniohyoïdien* فعملية الاقفال اذن بفضل عضلاتها القوية اسهل ويسهل من عملية الفتح الضعيفة العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الفضة التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي افتتاحا قليلا للفم حتى ان صوينة الكسر قد تخرج ويقاد الكفان يكونان منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال التقدماء بخفة الفتحة وتقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعمق الانسان الا وهو الكلام المفتوح يرافق لما يوحى به من حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرذوخ وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم والسكنون والركود .

وإذا تمهلنا في هذه النظرية وتأملناها تأملا مثينا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة لا الى فروعها وأخطائها وشائعها ، وتبصرنا امورها الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى البدن البشري وطبقتها تطبيقا محكما ، امكننا اذاك ان نشيد نحوا جديدا منطبقا يكشف لنا الستار عن النحو القديم الاصيل الذي بني عليه العرب القدماء لفتحهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقليم وشعورهم واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا هذا ستتصبح اذاك العربية اسهل اللغات بالنسبة الى العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي ضاعت وبضياعها ازوت في السمع اي في الحفظ بخطتها وصحبها بدون معيار للتمييز بين الصالح والفاسد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد الهدف الى الكمال .

الامثلة :

خدوا مثلا مادة « دخن » التي جاءتنا منها الابنية الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه الفلسفة التي تجلی في لفته واسحة لانه حافظ نسبيا على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الأخرى يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لفته مبنية على ثلاث حركات ، حركة الفتح اي التأثير عن العالم الخارجي وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج وقطع وقطع واكل وفتح ودخل وصرع الخ .. وكلها افعال مفتوحة العين لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخzel كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش وعلم وفرح وسم وغرق وعسر وحدب وجزع الخ .. ثم الضم (والطم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات) كـ : حسن وخشن وكبير وصفر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا او مؤقتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على اساس قانون الجهد والكليل الذي اشرنا اليه . فيما ان الحروف بشدتها ورخاؤتها ، برخومتها وخشونتها تقدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاؤة والرخومة والخشونة في الاشياء وأوصافها نان الحركات كذلك يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه القدمون فكرة ناقصة لأنها مبنية على ظاهر اللفظ لا على باطنها المحرك الذي هو الشاطط العصبي الدماغي بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . وإذا كان ذلك كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضممة والكسرة التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على العمل الارادي ؟ لأن فكي الفم عند اخراج صوينة الفتحة يتبعهان واحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة تسمى *Masseter* وعضلة ثانية تساعد الاولى وهي الجناحية *Ptérigoïdien* وعضلة ثالثة هي الصدفية *Temporal* تساعد الثانية اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

علت وارتقت في السن) وشرف : بكر العين ا الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف (بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء) اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين) صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعنوان تبنته واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت شارفا والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت (بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه والثاني كثرته وتراكمه ودواجه حتى اصبح في أعلى درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله وعلبه : ضد سر اي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح) ضد سر اللغة تعيم وهي عندي اقرب الى الاصيل العربي من لغة الحجاز ، ولم يرد « حزن » (بالضم) في الاستعمال تلافيا للطيرية مع ان مصدره حزونة بقى مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدتتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر وبشر بالثلث ووجهه خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الشاء والزاي) : « بزر » والمغايبة بين الشاء والصاد : بصر - ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فيأتينا منه معنى القروح ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . و اذا وقفت على المعنى الاول فمفadah : بثر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا . وبشر (بالكسر) وجهه حصلت له بثور . وبشر (بالضم) وجهه وهو : أصبح ذا بثور فهناك تدرج واضحة في المعانى بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل (بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الآتية وهي ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من افراط . واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة - اداة تمتاز بطوعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر لا ميل لها في اي لغة من لغات هذا العالم .

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطع وارتفع . وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها (اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : الذي عليها حطب فأفسدت فجاج دخانها (والمعنى واضح ، اي حصل لها الدخان وأصبت به فاصبح الدخان يحصل لها وبؤثر عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرهما : اذا اصابه الدخان في حال شبيه او طبيخه حتى تغلب رائحة الدخان على طعمه (وهذا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبيخ اذا تدخلت القدر - وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الفبار : سطع وارتفع اي كما يسطع الدخان يسطع الفبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث (بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن (بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابة دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهايائيا في ذلك اللون او لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

و اذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل « شرف » ومعنى الملو نرى ما يلي : شرفه (بفتح العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين) الحافظ : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين) الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

التعريب والتفتح في المغرب العربي

لـ**دكتور محمود عبد المؤمن**

«تونس»

ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المقدمة يجب ان يكون مدروسا - لا متروكا للصدق ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولغتنا وأصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياناها الاجتماعي والثقافي ، بالمعنى والذبذبة ... كما نرى - لا تناقض بين قيمنا القومية واقيم الاممية في مضمار الاصالة والتفتح . نستطيع ان نأخذ عن الغير العلم والتقنية والثقافة المقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الأجنبية الجيدة بدقة واتقان - اذا امكن - وفي نفس الوقت نتمسك بمقومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية، هذا في رأيي هو الانفتاح المنشود . أما الاقتصاد فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لغتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معا .

انه التحجر لأن فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوص بعض المبادين العلمية والتكنولوجية مختلفة بالنسبة لعدد من البلدان المقدمة كأمريكا وانجلترا وروسيا والمانيا ... الا أنها تعتبر طبعا - متقدمة تقدما مهولا - بالنسبة للبلدان المختلفة جميعها . اليك من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات - هي في حاجة إليها - ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان أخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشتراكي او الفرنج الرأسمالي ... اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك ان تعلم لغة من اللغات

ينحدث الناس تثيرا ، هذه الايام عن الانفتاح او التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتذلة واصابها ما أصاب بعض العملات ، أثناء الازمات الاقتصادية ، من تضخم قد فرض على جزء ضخم من قيمتها الشرائية .

ولا نعدو الحقيقة كثيرا اذا قلنا ان كلمة افتتاح او تفتح او تعصير ، أصبحت ، في قاموس البعض ، تعلة لاتهام كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتجبر والزمامة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » او جدلية « الاصالة والتفتح » - نؤكد لداعياء الانفتاح والتفتح والتعصير - دون ذكر اسمائهم - ان كل من يعتز بلغته وأصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثوربة موضوعية ، بامكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الأجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

- تحريك قيمنا الحضارية الحالية - وتراثنا انثوري الحافز ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المقدمة في عالم القرن العشرين .

واديولوجية ونفسية لا تخفي على أحد . وإذا صارحنا أنفسنا وصغارنا ، فهو ، فيحقيقة الامر قضية مصيرية تحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة في المغرب العربي . والرأي عندنا أن الحل الجذری لمشاكل كثيرة يتخطى فيها مجتمعنا المغربي اليوم ، يمكن في تبني سياسة التعریف الشامل والمرحلي . فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لفتنا القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج الفكري والعلمي . . .

اذ لا يمكن ، اطلاقاً عزل المفهوم السياسي لعملية التعریف عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة !

لذلك ونظراً لتشعب قضية التعریف ، باعتبارها قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح على الصعيدين الرسمي والقومي . . .

لذلك ونظراً لكل هذه الظروف والملابسات الايديولوجية والنفسية التي تحف بالتعریف لا يعنينا الا أن نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابداً المشاكل والصعوبات النفسية والمادية التي تعرقل سير قطار التعریف ، خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التي رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعاً ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً متخلقاً . ان هذه التركيبة الاستعمارية الثقيلة والبعيدة قد عكست على حياتنا الاجتماعية ارتباطاً لفويانا وثقافياً خطيراً .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة سواء كان فرنسي أو انجليزياً يرمي إلى تعزيز وحدة الامة العربية وتقييم الوطن العربي الى دوليات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها الكادحة ، اقتصادياً وثقافياً ولغوياً . . .

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية الادماجية في المغرب العربي الكبير وخاصة ، هو تجهيل الجماهير بلفتها وتاريخها وواقعها . . . ومن هنا كانت وضعيّة شعوبنا المغاربة مطابقة للحقيقة العلمية التي صدّع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن خلدون وهي تؤكّد بان « الامة الفالبة تفرض على الامة المفلوبة حضارتها ولغتها . . . » .

الحياة كالانجليزية او الروسية او الالمانية . . . امر لازم .

ان افتتاح مغربنا على العالم المقدم . عن طريق نغمة او نقطتين من هذه اللغات الحياة سيساعدنا . دون ريب على الخروج من معركة التخلف بنجاح للانطلاق بعد ذلك . اى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاشعاع الثقافي والعلمي والتكنولوجي . . .

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية كلغة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية . . . ان الانفتاح على الثقافة الفرنسية او على اية ثقافة اجنبية اخرى يجب ان يمر عن طريق عروبتنا كما أكد ذلك العالم الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque) في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité» لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الاقصى قبل الاستقلال وبعدة بالتعرف والاصالة الثقافية لا اسباب عاطفية ، وانما لانه الطموح الطبيعي والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتتنا ونهضتنا ، والمطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي كخطوة نحو وحدة وطننا الافضل . . .

الواقع ان موضوع الاصالة والتعریف هو موضوع له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرًا كبيرًا من الموضوعية والشجاعة . قد يحدث التباس في الاذهان ، ونحن نشير الى الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة والتعریف ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا الالتباس يتمثل في ان الفرض من اثاره مشكلة التعریف في تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو احراج المسؤولين او التهمج على هذه السياسة التربوية او تلك . لكن الذي حدانا الى معالجة هذه القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير على اسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن العربي .

فالواجب يفرض علينا النقد النزيه والموضوعي لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا بأن هناك خطراً يهدد كياننا . ان اسلوب السكوت والتفاول الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على امل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعریف والاصالة هو موضوع خطير ، قد حفت به ملابسات سياسية

تركيا : اللغة . أما في المغرب باقطاره الثلاثة ، فقد قام محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي : ترمي فيما ترمي إليه : إلى الفرنسيّة والادماج ، وأحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك أكد المثقفون المغاربة - مراراً وتكراراً - أن لغة المستعمر ، بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي في تونس والمغرب الأقصى والجزائر . وإنما هي - بالعكس من كل ذلك - تمسخ أو بامكانها ان تسمخ - شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقة .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدأت اثر عصور الانحطاط والظلم ، وبخاصة في بداية المهد التركي ، ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تثريث الاقاليم العربية . وكلمة تثريث هي كلمة دارجة حتى اليوم في بعض اللهجات العربية في المغرب وتونس وتعني مثلا العبارات : « يحب بيتركي » معناه « يريد أن يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب إلى أترالك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التثريث هذه قد نادى بها - كما نعلم - وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة

(1) كلمة « تركية » بتشديد الراء معناها في عامية المغرب الأقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « المترک » (فتح الراء وتشديدها) مات فصارت تركته تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتراق الكلمة العامية من الفصحي ، كما يتضح من استعمالها في المغرب الأقصى بالمعنى الذي أشرت إليه .

اللغة العربية في مُرآة قواعد هاالقوميّة

الأستاذ أنطون شال^(I) جامعة هايدلبرج ترجمة الأستاذ إدريس الخطابي

الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين أشياء أخرى: «ينقسم الكلام إلى ثمانية أقسام : اسم و فعل و اسم مفعول و آداة تعريف أو تنكير و ضمير و حرف جر و حال و عطف ». أما النحويون الرومان فاننا نجدهم يخذلون المصطاحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد . ولذلك ظلل نموذج ديونيزيوس تراكس غالقاً بالاذهان لدرجة ان الاقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احلال حرف التعجب محل آداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية . وقد تولى النحاة الثقات، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس . أما التقسيم الثلاثي الذي أوردناه في مطلع بحثنا فلا يوجد له أثر واحد في هذا الوقت على ما اظن .

وقد أنسن يوهانس رويشلين^(Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتسهايم (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه «مبادئ العبرية » . وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لاقسام الكلام

اذا فتحنا كتاباً من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية لنتعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزيء (أو الآداة) (Partikel) . والعلامات التي يستند إليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي أنها ليست من صميم الكلمة : فالأسماء المعرفة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير . وأما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام : جزء . غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالغرض اذا أردنا ان نقسم الجزر إلى اقسامه المختلفة . ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزء إلى حال وجار وعطف ونداء . فنحن نرى اذن ، ان قائمة انسواء الكلمات او اقسام الكلام ، قد اشتغلت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباهن وجهات النظر النحوية عبر التاريخ.

وإذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالى قرنين اي إلى زمن وضع القواعد النحوية الاولى في البلاد الفربية ، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » مؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax)

(I) جاءتنا هذا البحث من مؤلفه من المانيا الاتحادية ورغم بعض الاراء الفريبة التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنها مهما كانت نوعيته او قيمته وقد نشرنا الاصل في مكان آخر من هذا العدد ». وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق العادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات في جامعة هايدلبرج في 21 ديسمبر 1971 .

قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري اي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بنيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . واهم أعماله النحوية هو مؤلفه المعنى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحوين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

اما نقطة الانطلاق بالنسبة لاكثر العلوم العربية تقاؤة فتدور حولها مجموعة من الاساطير . فقد كان ابو الاسود الدؤلي - أحد انصار علي بن ابي طالب آخر الخلفاء - فاضبا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في اول أمرها مسكنها للجند العربي ، وال موجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سُئل ابو الاسود الدؤلي : كيف تعلم العلوم النحوية فاجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه اياها ولم يكن ابو الاسود يغير معلوماته اهتماما كبيرا حتى امره حاكم العراق بوضع دليل لغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين العقدس . ولم يد ابو الاسود رغبة في الانصياع لهذا الامر يد انه سمع يوماً أحد الناس يتلو جزءاً من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة) المترجم ([1]) بدلاً من ورشه كلام هى القراءة الصبحية . والقراءة الخطأ ليست أقل من الكفر لأن متنها أن الله بريء من المشركين ومن رسوله . فذهب ابو الاسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية امر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الأسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس اي حول وقاية ما يعتقد العرب أنه كلام متزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الاسباب التي اثارت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي اسباباً دينية . كان من الواجب ان يصان القرآن عن الاخطاء في افواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حدثنا . والاتصال باللغات الاجنبية في البلاد المغروبة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلفتهم وليس هذا السبب اقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الاجنبية في البلاد الفربية

العربي : هناك ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والاتي بمعنى - نقول اليوم الجزء - ، ويشتمل الاسم ايضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الاربعة الآتية : الحال والعلف وحرف الجر والتعجب . نرى ان تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب رويشلين اتفاقاً مدهشاً . والجدير بالذكر ان رويشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول اقسام الكلام عن الاعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العربية ، غير ان اعمال علماء اليهود النسقية الاولى كتبت باللغة العربية وافت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لمعان الثقافة العربية الاسلامية . وتأنير هذه الثقافة وبقائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الواسطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير ان الآثار المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب الزاوية .

ولم اجد في نطاق عملي ، شعراً من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعوبين اليوناني والهندي . أما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق ان اشرنا اليه وأما الهند فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار واظهروا اصالحة في ابحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بالييني (Panini) اواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق امام الباحثين الهندو جيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات . ولم تتم الانجازات المظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة وأوضحوا غرامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان ، موقع الوسط بين النحوين الهندي واليوناني وهذا الموضع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الان ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعملوا بنماذج اجنبية ونظروا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من اعادة المراجع الى اصولها بالدقّة المطلوبة أصبح من المستحبّل الفصل في هذا الامر ، اذ ليس من المتوقع ان نجد

(1) بالعربي في الاصل .

التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباعدة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة المأثورة وتنميتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ - مثلا - نجتهد دائمًا في ضم مصادر أخرى حتى نستطيع تحديد أسباب مصبرنا بطريقة أدق . وفي العلوم اللغوية نسعى إلى مضاعفة تعميق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع أمهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة . نعم نقيم - نحن أيضًا - نظرياتنا على أساس المواد الموجودة بين أيدينا ، وإذا تغيرت هذه المواد أو وجدت مواد جديدة يمكن أن تتغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير أن العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المأثورة قد اكتملت ووصلت إلى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد أن أقام اللغويون العرب نظريتهم التحويية على أساس الأدب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقاييس الوحيدة لبناء النسق النحوی .

ولاحل هذا النموذج الذي وضعه التحويون الأوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الشعراء الأقدمون والنصوص التشرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بأيام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والأمثال القديمة وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الأدب التشي리 الجيد الذي ازدهر بزيارة بعيد عهد الأميين والذي هو جزء مهم من الأدب العربي التحوي فلم يستعن به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهتمامه وفي عدم محاولة تلاميذه سببيوه استخراج الأمثلة التحويية من الشريرجع إلى قدرة الإسلام على التثبت بالمعطيات الأولية . وإذا طبقنا ذلك على اليونان فإنه يعني حصر استخراج النماذج التحويية على مؤلفات هوميروس والشعراء الأقدمين وأهمال هيروdot (Herodot) وتوكيديدس (Thukydides) وبما أن لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما أن اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي أن يرفض العرب رفضاً باتاً استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق التحوي .

ولقد أدت الاعتبارات الدينية هنا إلى تقلص المادة المأثورة وظهرت فعلاً في زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوجّى توسيع المأثور أي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق التحوي . لكن سرعان ما انصر

في نفس الزمن - أي في القرون الوسطى - لم يُؤدِّ إلى الاشتغال باللغة القومية ، فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنافس الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم - المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة متشعبة إلى لهجات متباعدة ، ومن ناحية أخرى اللغة العربية المتقدمة الآتية من القدم ، لغة راقية أو لغة الأدب . ولا تستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيها هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزماً بشروط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق إليه الشك هو أن هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن لهجات الآخرين وأصبحت لغة تعلم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفلات ذات الأبهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم - باوزانه الصارمة البنية - بهذه اللغة بتعاونها . وأهمية الشعر - كبديل لفن التشكيلي - الذي كان مستحيلاً في الحياة البدوية - جعلت من الممكن إبقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقرآن كان لا بد أن يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد أن الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نحاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة وخاصة ممكناً إلا بمعرفة دقيقة اللغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة - بادنى العراق - نشأت مراكز للعلوم التحويية ، ربما اقتصر هذا العلم بادئ ذي بدء على مراقبة كلام البدو وجمع وشرح الأشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والإمثال والتقاليد ، فنعرف - مثلاً - أن معظم أعمال الكوفيين مجرد تجميع . أما البصريون فيظهرون أنهم يكرروا بترتيب المواد المأثورة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه ، مما اللذان أثما تنسيق التحوي العربي .

نعرض على القارئ فيما يلي تاماً قصيراً عن النظرة الإسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بأنها جزء من المنقول المأثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : أحد هذين الركنتين هو المنقول أي المادة المأثورة القابلة للمعالجة والتنقية ، والركن الثاني هو عقل العالم المتفتح مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن أن يكون هذا

هذا ولم يعتبر المسلمين قط اللغة شيئاً متطروراً ونامياً كما لم يفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب في ذلك هو القرآن أيضاً فمعنى كل كلمة في نصه المأثور لا يوجد في صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضاً - بل أكثر منه - في رسمه المكتوب الذي تناقله الأجيال في شكل معين . فللرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن أي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فاصغر جزء في الكتابة هو الحرف أما في العربية فهو الحرف المتحرك فقط (١) ولذلك يسوي في الاصطلاح النحوي اللفظ والحروف المتحركة والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو أصغر جزء في الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروضاً عند النحويين المسلمين في القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحاً عليه ، وبما أنه لم يعمل إلا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص في اللغة . ولم تدخل علامة الحركة في اللغة إلا عند ما ادخلت العلامات الدالة على فسر الحركة . ولم يحدث ذلك إلا لأن العرب يرمزنون إلى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الأساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفاً .

وبالإضافة إلى معنى ضيق للمادة لا تفهمه نحن الغربيين ، فالجريء الخارجي الذي اتخذته النظرية إلى اللغة القومية في العالمين الغربي والإسلامي متباين تماماً - فاليونان ، وهم أساتذتنا في العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيراً بالعام الذي يمكن وراء الخاص واهتموا بمبادئ الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفي إطار هذا الأخير وجدت المادة التي تستند إليها العلوم المختلفة وخاصة اللسنيات أرضًا صلبة . فالكلام

مذهب المتأول المعهود على مذهب التوسیع والتجدد وحتى في النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين ينعكس النزاع المتواصل الذي نلاحظه في التطورات المذهبية والشرعية في الإسلام . وفي هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة أو تصحيح أخطائها . ولم يالوا جهداً في الحفاظ - بغيره - عن القانون الذي هو نموذج الأعمال الأدبية العظيمة وعدم توسيعه، ولهذا استعملوا دائماً في مؤلفاتهم نفس الأدلة والآمثال . وبذلك اتخد النحو صفة « علم معيار » وأخيراً أصبح هذا المعيار والعبارة « معنون » سبباً في أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي هي ، في أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرناً .

وإذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بآية مادة حية من آية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف غداً هذا العلم بالضرورة ، شيئاً فشيئاً ، جاماً مثل المومية . ويمكنا أن نأخذ فكرة عن ذلك في رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي في ديوانه « جنة الورد » في القرن الثالث عشر . ففي أحدى رحلاته إلى تركستان الشرقية - التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري - رأى سعدي في مسجد كتشكاري طالباً منصباً بمحامس على باب من أبواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرد لاقول إن النحو العربي يشرح حالات الاعراب في جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الاعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه في السنة نفسها عقد حاكم توران سلماً مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطالب الشاب في سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . والى يومنا هذا يتشارب عمرو وزيد في جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

(١) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين إلى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون - الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب إلى جانبها - ولا تعد في العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وإنما توضع فوقها أو تحتها إذا اشتغل النطق - (المترجم)

(2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

وال فعل [1]، والحرف [1] الذي نعبر عنه نحن بالجزيء . وهذا هو التقسيم الذي أخذه رويشلين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الاول ان العرب مدینون ، في معانی قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبی وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اتنا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعریفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متاخر نسبياً وجاءت مرتبطة بأصلها ارتباطاً جديراً باللاحظة ولم تفصل عنها الا نادراً . بذلك كان من الممكن ان ينشأ اخيراً اعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفه اليونانية ، العكس تماماً لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علماً عربياً محضاً . وبهذا الاعتقاد فقد الغربيون ملكرة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا أن هذه المراجع الاصيله اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد اتي بعضهم بدلالٍ ضعيف جداً ليحاول ان يجد في انشاء المعانی عند النحو العربي تأثيراً من القواعد اللاتينية وذلك عنده ما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدوداً في حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي لهم هذه الكلمة التي نعبر عنها نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيبويه ان الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف [1] ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلمة « حرف » تعني شيئاً آخر، غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسم او فعلاً ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى [1] » كما كان يسمى القسم الثالث في الاصل يقع الوزن في الكلمة الثانية « معنى » ويمكن التعبير عنه في لفتنا بـ « مجموعة من الحروف الابجدية الدالة على معنى » .

والفكر عند اليونان يستعملان على نفس القوانيين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنبع الفكري . فيتساوی عندهم الحكم والجملة ; والمدلول والكلمة . اما في الاسلام فقد تطورت الامور تطوراً مضاداً على طول الخط : حيث جمع المسلمين ، او لا ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالتحرييون القوميون العرب يتظرون مع عبر التشكيلات والفالب الى محتويات ومعانی الجمل . واليونان ومعهم الغربيون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحو الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطوراً موضوعياً . اما النظرة الغربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساساً الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تتبّع من مبادئه منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبارتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابنت ان تخضع لنفق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات في النحو الاسلامي ، حتى في مظاهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافاً كلياً . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعdena النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما النحويون العرب فينهجون نهجاً آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيماً خارجياً لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لأن الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (1)

(1) بالعربية في الاصل وترجمها المؤلف الى الالمانية

والمنطق الالهي وواجب النحوين هو ازالة الحجاب عن المتنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف أسرار اللغة (أسرار العربية) (1)

ويسمى العالم النحوي الغربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . أما بالنسبة للعالم للغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقياً وينبغي له أن يستدل على متنطق هذه القواعد ويرهن على أن كل كلمة اینما تقع في هذا المكان على أساس من المتنطق السليم ، وانطلاقاً من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحوين المقرب المتأخر - باستدلال صارم - قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دوراً صغيراً في مرحلة النحو العربي المتقدمة لأنها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد أن هذا الدور بما فيما بعد نمواً غير طبيعي وأصبح النحو علمًا محتاجاً الى استدلال ومعيار بدلاً من أن يكون علمًا مفسراً وشارحاً .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي الكلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكّر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير أو كبير . وأعراب ما بعد العدد يختلف اختلافاً وقوع العدد في أحدي المجموعات الثلاث : (3 - 10) او (11 - 99) او (100 فما فوق) وبما أن الجواب غير معروف بالتأكيد فإن الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 - 99) . وهذه المجموعة تقتضي المنصوب وكذلك - اذن - « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوادث النحوين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة ولا تقبل الاستثناءات . وإذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على أن هذا الانحراف منظم في القاعدة . ويؤتي لأجل ذلك يوجه أو أوجه للتشبيه . وإذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للأول . ولا يهم أن يكون هذان العاملان قابلين أو غير قابلين للمقارنة . وبما أن كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما أن هذه الأخيرة أجزاء أقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلاً ، وكلما زادت أوجه الشبيه الخارجية والداخلية امكن التسوية بين أعمال العوامل المشبهة ، وبما أن هناك خمسة أوجه للتشبيه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلاً

يستعمل النحوين اليهود مراتاً وبكل بساطة ترجمة عربية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص او شيء) على قسم الكلام الأول ليس الا صدفة محضة . ولا علاقة أيضاً بين الاصطلاح اليوناني (Rhema) (هذا الذي يحكي على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحوين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الأصل اصطلاح علم المتنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحوين العرب حكماً بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فشلة أنواع مختلفة من الأفعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فإذا بدأء بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلاً » . ولكن إذا بدأء بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدأء بها » وإذا بنيت الجملة للمجهول أصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولاً وسمى المفعول الذي لم يسم فاعله » .

وقد ظهرت هذه المعانى النحوية الأساسية عند أندم النسقيين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان يتبين أن يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، أي العقل ، المدبر والمرتب ، أكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فهو بهذه الطريقة قد يكون ما يضيئه العالم الى المادة أكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبالاضافة الى ما سبق ، فإن العرب لم يهتموا الى مقارنة العربية بلغات سامية أخرى لأنهم كانوا يكادون يجهلونها . أما تطبيق المتنطق على اللغة فلم يكن ممكناً لأنعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع أعمالهم على أساس مبدأ واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد أن يظهر في كل جزء من بنائه المتنطق الالهي . وإذا كان اليونان قد سروا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحوين العرب قد سروا بين اللغة العربية

(1) بالعربية في الأصل .

القاضي الذي أنيطت به اقامة العدالة الالاهية والمحافظة عليهما .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين بل من الصعب علينا يمكن أن نساير هذا النوع من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج - كما قلت آنفاً بایحاز - خصيصاً بالنسبة إلى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الأجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادئ متباعدة تماماً . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فإنه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الإنسان الأساسي في القرون الوسطى الإسلامية اعني العبادة (١) أي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد أن يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنشيط وتأويل ماأتي به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة .

ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضاً جاء الدافع القوي إلى العمل .

والمرأة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية أكثر من مرأة بمعناها المأثور ، فهي بؤرة اشعاع ومصدر القسوة فيها هو الدين الذي ذات اللغة العربية في أشعته لخدمة الآله .

لاثبات أن هذا الأخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، إن يغير ، قبل سواه حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان و المجال . فالمعروف في الطبيعة مثلاً أن السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمع اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب أن تسبق اما البقاء الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب أن يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد أن يتنظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها ان تقع وراء الكلمة العاملة . ف يأتي مثلاً المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به .

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالاهيين . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض التحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكفي فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الأصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويساوي في العمل المعياري مع

(١) بالعربة في الاصل .

السوق الم Herc

ذكر ابن الإبار (الحلة السيراء ص 137) « انه كان عبد الرحمن كاتب اعتقد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينفذها إلى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية: تماشِي الأمة العربية إلى الأمام لأنّها جزءٌ حيٌّ منها

الأستاذ إلías قنصل (عاصمة الأرجنتين)

إلى تاريخها ، يريد أن يشهو معالمه الواضحة العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر . إلى نسُّها ، ييفي أن يبيث فيه من الانفلات ما يذيب شخصيته المامولة . إلى اقتصادها ، يرمي إلى وقفه عند حد محدود ، فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط . إلى كل شيء .

وقد كان «لغة العربية» نصيّب وافر من تلك الحراب المقصوية التي تقطّر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير إلى وجوب البحث في «تطوير» اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد إيجاد البطلة في أجزاء الأمة التي تتكلم هذه اللغة ، وأحداث شكل من اشكال الفوضى قد يمتد إلى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها – إلى ذلك – شغل فئة من حملة الأقلام بالأخذ والرد والمحاكمات والمناقشات البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة في النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول إن جميع الدعوات التي تعلّت مطالبة بالاصلاح ، كانت من أحياء الاستعمار ، فقد تنزع بعضها عن ذلك ، ولكننا نقول إن معظمها كان مدفوعاً من الأخطبوط المذكور .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهره من اغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصدف :

كل سلاح وصل إلى يد الاستعمار ، استعمله ، محاولاً القضاء على القومية العربية . انزل الاستعمار على المدن العربية قنابله ، ووجه إلى صدور أبنائها رصاصه ، وهدم ، وخراب ، وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول – وقد رأى أن بطيشه المكشوف لم يجد – زعزعة أركان الوعي القومي العربي من الداخل ، فرشد الانصار ، وجنّد الاعوان ، واشتري الضمائر ، ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول إلى ما ييفي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلة ، وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفت محاولاته ، ورأى نفسه كما رأه العالم ، متعرضاً باذلال الفشل ، لا يكاد يعلم ذاته من حفره حتى يقع في حفرة ثانية .

وإذا كان الخذلان قد أصابه في محاولاته ، فليس المعنى أن المعركة التي استهدفت لها الأمة أو بعبارة أصح أن المعارك التي ساقها إليها ، كانت معارك هينة لينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت في جوانب الأمة جراحًا ضمّدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف بالدم ، إلى الآن .

صوب الاستعمار حرابه إلى سائر مقومات الأمة العربية :

إلى أخلاقها ، يريد أن ينفذ بالفجور إلى مناعتُها ، فينهار تماسكتها .

في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الفساد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هنستها الراهنة ليست احرفا تماشي الحضارة التي بلقتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، او بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعه واحدة، على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبرية العربية فحسب ، ولكنه يصللينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفروضة النبات ، مكتوفة المعامل .

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الغوالج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الان عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت أمامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفاتحة ؟ كيف تعجز الان عن ذلك ، وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مقلقة على الذين نقلوا إليها العلوم والأداب من الامم الغربية ؟

نحن لا ندعوا الى الجمود .

اننا نعرف ان تقديم الحضارة يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجاراة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منع ما يتطلبها الراغب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .

كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالبا بالحقوق المقصوبة .

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر ابدا في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بان تظهر اثناءها ، لأن هذا الاصلاح – اذا صح ان مرماه الاصلاح – يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وأنها وقف على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلقيه ان تكتب بلغة الشعب بالعامية ٠٠٠

ولو تم لهم ما أرادوا ، لقضى القضاة المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطارات التي تضمها الفكرة العربية لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية – في حالتها الحاضرة – تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الودي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

رأى هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم الامر الذي يكاد يكون منقطع النظر في ادوات التفاهم ، فعمدوا الى تفكير هذه الوحدة ، ويزروا بالفهمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ، اي وضع حدود او شيء كالحدود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب ، فلا أقل من ان يكون ثقيلا .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تقارب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تتجه الى الكمال ، لا ان تتحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالتها بمحو جميع المقد منها ، وملائمة الفموضع ، اي بترك الجبل على الفارب ، لمن يشاء ، ويتحصل الاعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد ، الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنظم

النتيجة الا ماشاء الحق ، وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحاتقين .

والقومية العربية تعرف ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطر المخيفة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرسا لا يمكن ان يتربى اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتنان ، لأنها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدع احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وابعثت منها الطرائف الخالية ستظل تماسي هذه الامة في مراحلها الى الامام لأنها جزء هي منها .

ان اللغة العربية فيها « حياة » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، آصرة من او اصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الان في العالم العربي .

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، قوة من قوى العروبة ، بقاوها على جبوتها ، نذير له بأن الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينبعها الزمن ، وينذيرها الجهد المخلص اربعمائة سنة او تزيد ، بقيت اللغة العربية تجاهة الطفيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة متنكرة ، وارتدى الطفيان مذحروا مكسورة .

وعادت قوى الشر التي حشدتها الاستعمار الحديث ، فشتت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن

تحقیقات لغویة

الأستاذ عبدالقادر زمامرة

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : المشказة والشکاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصارة والمسرة ... !

الاولى : الدلالة الحقيقة لهذه الكلمة .
 الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها ولنبدأ في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصارة لنرى مدلولها هناك ... !
 — مؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة) يستعمل كلمة المصارة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث و المعارك بين عبد الرحمن الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !

بل اتنا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصارة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمن الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقاً عند المصارة ... ويensus بها اسراه من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي (377 هـ - 469 هـ) يذكر المصارة عدة مرات

المصارة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة سنثیر اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغاربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا لإقامة المهرجانات والانفراح العامة ... والتقيع بجمال الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفينا في ميدان التحقيق اللغوي الذي يحدد المعاني بدقة . لاستنادا على نصوص معجمية او استعمالات اصطلاحية معينة ... !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... ص 45

فإذا أطلق الاندلسيون كلمة (المصارة) على الفضاء النسج المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنبات والميايدات الواسعة ... فإن ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيح اللغة ... !

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلاما او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ... ! فإن الاطلاق يكون اذا ذاك حقيقة لفوية ... لا مجازا ... !

وبهذا ظهر ان كلمة (المصارة) لها اصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ... ! فلا مجال فيها للتوقف ... ! لا من جهة الاصل ... ولا من جهة الدلالة ... !

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ... !

— فمؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحمد الزرع بفتح المصارات — كما — التي يخرج باب الشريعة من ابواب عدوة التروبيين عن اربعين يوما ... ! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة في خمس عشر من شهر ابريل . وحمد في آخر ما يه !!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بـ روض المصارة مذكورا في عدة مصادر كتب باقلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم .. !

— ثابن الخطيب في (نفاستة الجراب) يذكر جنة المصارة ويعبر عنها مرة اخرى بـ روض المصارة . ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك .. ! (6)

— وابن خلدون في (العبر) يذكر روض المصارة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاحمر وكان هذا الروض لصن دار ابى الحسن .. ! كما يقول ابن خلدون .. ! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) في بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصاراة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الواجبين على عاصمتها اذ ذاك ... !! (2)

كما ذكر اشياء اخرى وقعت في هذه المصارة ... !

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصارى

المصارة (3) لكن المصاراة ليست موجودة في قرطبة

وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات اخرى لا غرض لنا باستقصائها الان ... !

ويكفيانا الان ان نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي فيه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائلي نجد فيه خبرا عن : « وقيعة المصاراة بلورقة » (4) باقليم مرسية ، وبذلك تتأكد لنا ان

(المصاراة) ليست على اطلاقها على موضع خاص في قرطبة ... ! بل هي « اصطلاح » اندلسى عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنوا THEM الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصاراة ... ولابد ان نتسائل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ... ! وعند الرجوع الى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوی :

« مصر الفرس كعني استخرج جريمه ... ! والمصاراة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ... !

فالمادة لفوية معجمية ما في ذلك من شك ... ! والمعنى اللغوي لكلمة المصاراة كما شاهدنا في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لأجل المدعو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية :

ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة في فضاء فسيح ... !

(2) الارقام المذكورة في نهرسة القسم المذكور ... ٤

(3) ابن عذاري ج 2 من 199

(4) نصوص الاندلس من 5 معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1965 م

(5) الجزء الاول من 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر ايضا من 54 من نفس الجزء ... !

(6) نفاستة الجراب من 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 من 531 . ط . بيروت 1959 م

اما في المسموّع بين الناس في المغرب . وكذلك في بعض الكتب التاريخية فان المسّرة تعني جنة فيها من جنات مراكش الحمراء وقد أسلت هذه الجنة وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين !!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فانتا نبحث عن (كلمة) المسّرة .. ! لا عن (موقعها) او (صفاتها) التي ذكرها المؤرخون .. او بعبارة اوجز وادق .. فانتا نبحث عن الاسم لا عن المسمى .. !

فهل سمي الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا .. ؟؟

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية الرياض وما في معناها باسم المسّرة . لكونها ظرفًا للسرور الانشراح .. او سببا من اسبابها . او لغير ذلك من العلاقات .. ! فان البحث هنا منصرف الى شيء آخر .. وهو كما قلنا آننا .. :

— هل سمي الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا .. ؟؟

ونؤكد اتنا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنتات والقصور والمساجد والبُرّات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشاؤا » وبين « سموا » ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل التباس .. !

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش هم كثيرون يذكرون « المسّرة » باعتبارها من منشآت الموحدين ونكتفي هنا بالاشارة الى المقدمة الحافلة لكتاب « الاعلام » من حل مراكش وأغامت من الاعلام « مؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمة الله ... ! فانتا نجد فيها نقلة عن المؤرخين .. ان عبد الومن « انشأ » المسّرة .. ! التي بظاهر جنان الصالحة ... كما نجد ان عبد الومن « انشأ » المسّرة وهي البستان الذي « جده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبختنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعرفوا

ونغي عن التأكيد اتنا هنا بقصد البحث عن (كلمة) المصاراة .. ! لا عن (موضع) المصاراة ...

واثبتت هذه الكلمة في عصر بنى مرين وفي الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن اجل ذلك تداولتها الان ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي كانت تجاور المصاراة لمعبين أو للاحياس ..

ولا شك ان رسم الكلمة رسمًا صحيحا يتوقف على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فماذا نسي هذا الاصل او اهمل .. ! فان الكلمة تأخذ طريقا او طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في كلمة المصاراة ...

وقد وصلنا الان الى النقطة الثانية ... وهي الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اتنا لاحظنا في الوثائق التي مرت امام اعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك من يكتبها ... المصاراة .. ! (بالصاد) ومن يكتبها المصاراة .. ! (بالسين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسماً رسمًا ثالثا او اكثرا .. !

— وفي مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصاراة هكذا « جنات المصارة » (بالسين) .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاقناعنا ان رسم الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو (المصاراة) (بالصاد ... لا بالسين .. !)

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمسناه فيما يرجع للمصاراة المغربية في عاصمة بنى مرين قد لحق المصاراة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على ما جاء في محقيقة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسّرة — فننبأ بما يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسّرة مصدرا مimbتا لل فعل سر ... ! كما نجدتها اسماء لاطران الرياحين ... ! (9)

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م - 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ..

(10) انظر من الصفحتين 67 و 86 و 94 .

وإذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما يرجع لمنشآت الموحدين بمراكنش ... فإنهم استعملوا كلمة « المصارة » فيما يرجع لمنشآت المربيين بفاس ...!

ولكن لا ينبغي أن نستخرج من ذلك نتائج جزائية او نفرض فروضاً خيالية لا سند لها من النصوص ... لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه ... وشير به في كتب المتأخرین كما فعلنا في كتب المقدمين

— المؤرخ اكتسوس في (الجيش العرم) وهو خبير بتاريخ مراكنش وفاس .. يذكر في كتابه ... مسيرة الموحدين بمراكنش (12) كما يذكر مسيرة فاس ... ويقول عن هذه الاخيره بالحرف : « وأما المسرة فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فعن مسيرة مراكنش فإن كلام اكتسوس يدخل في عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين ... حيث إننا تحققنا ونتحفظ الى ان نجد نصاً موحدياً يسمى منشآت الموحدين « مراكنش باسم (المسرة) فعلا ... !

وعن مسيرة فاس ... !

فإن الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان هناك بفاس شيئاً ثالثاً :

(المصارة) التي تحدثت المصادر عنها كما شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكتسوس ... ! والحالة هذه ... ونحن لحد الان ... لا نعرف الا الاولى ... !

— والمؤرخ الوعاية ابو العباس المقري حدثنا في كتابيه : روضة الاس ... وفتح الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي ... (14) للبديع ... والمشتهي ... والمسرة ... والظاهر أنها كلها بمراكنش ... !

ويقول المقري ان المنصور الذهبي ورى بصماته الثلاثة في بيته اتشدهما ...

العاصميتهم مراكنش . ومنهم من سكتها فعلا في العصر الموحدى ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشاء الموحدون هناك باسم « المارة » ولا باسم « المصارة » ... !! بل وجدنا اسماء اخرى لا غرض لنا بذكرها الان ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

- الاستبصار في عجائب الامصار
- الموجب في تلخيص اخبار المغرب
- القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان
- تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة
- مجموع رسائل موحدة
- كتاب المؤرخ البيدق

بل إننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : اخبار المهدى . ان عبد المؤمن كلف اميراً من امراء الانتدلس وهو احمد بن ملحن ...؟ ملك وادي آش ...! بتنسيق بستانه العظيم الذي انشأ بمراكنش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءتنا كلمة « المسرة » التي نراها عند بعض المؤرخين من تعریف كلمة « شنطولية » التي حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق ...؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجود لا يتنفس عدم الوجود ... !

ماذا لم يتيسر لنا الان الاطلاع على نص موحدى فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين مستشرقين او عرب — قد اطلعوا عليه فعلا ... او سيطّلعون عليه في مخطوط او مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئاً وقف على نص يثبتته ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئاً لم يوجد له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم ... !

ويطبق آداب البحث ... !

(11) اخبار المهدى ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م.

(12) الجزء الثاني ص 10 و 22

(13) المصدر السابق ص 55

(14) النفح ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الاس من 25 ط . الرياط

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو أن أبا العباس المقربي كان متمكنا من معرفة الأسماء والسميات في الموضوع ...

فقد وجدها يفرق بين (روض المسرة) الذي هو من مصانع النصوص الذهبي ببراكش .. ! فكتب (المسرة) هكذا باللين وبدون الف ... كما في النص الذي أشرنا إليه قبل في نفح الطيب وروضة الآس ... وبين (قصر المصارة) بناس الذي هو من منشآت المرينيين فكتب (المصارة) بالصاد بعدها الف ... كما هو الصواب .

وقد حدثنا المقربي عن قصر المصارة المريني وروى لنا شعر ابن خميس الذي سمعه أبو عنان في هذا القصر ... ! (15)

بستان حسنك (أيدعت) زهراته
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقولم غصنك (بالسرة) ينتهي
يا حسنة رمانة (للمشهى)

فالنصرور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما سمي أحد مصانعه العظمى ببراكش .. باسم (المسرة) كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته ليسمى المصنعين الآخرين باسم (البديع) و (المنشئ)

ولهذا تكون (مسرا) الذهبي ببراكش أمراً واقعاً ليس له من دافع .. !
اما (مسرا الموحدين) بهذا الاسم فتحتاج في رأينا التواضع إلى نص موحدي يثبت ان الموحدين استعملوا هذا الاسم .. !!

(15) ازهار الرياض ج 2 من 316

دَخِيلُ أَمْ أَثِيلُ

لِفَرَسَاتِ وَجَهْدِ الْمَوْلَى فِي الْمَنْدَلِ

- 4 -

مشيتة لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدرج في العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبيء ان اسم (الدراج) ليس منها . امثل اللحظة (الدر) — زنة الجر — ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الدراعـة (زنة الرمانة) :

جبة مشقوقة المقدم ، ار : (دورعو dour'o) ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

ان (الدرع) اثلها (الدرء) اي الدفع وهذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لأنها تدرا اي ترد عن المحارب ضربات قريعه ، ولما كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابس استعارة ، ومن ذلك درع المرأة : تميصها ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنة جرعة . فلا عجب ان أطلقوا (الدراعـة) على الجبة المشقوقة المقدم . وبنفس المعنى قالوا (المدرعة) — زنة المقرعة — ايضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخيرة من الارمية لأنهم لم يجدوا لها فيها شبها .

ويلاحظ ان الصيغة الارمية يقابل مبناتها درع المرأة ، لا الدراعـة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما ان معناها لا يطابق الثوب التحتاني الصوف عند الرومان .

الدرب :

الطريق ، ار : (دربو darbo) اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وباب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالانكليزية .

اما امثل اللحظة فهو (الدار) بالعربية و (دور dour) بالاشورية كالذى نظرتنا اليه في المعدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربين في الفارسية (در dar) و درب (darb) بمعنى الباب وبشكلها الاشوري في الانكليزية (door) بمعنى الباب ايضا .

وهذا ينبيء بكل وضوح ان (الدار) كانت تعنى الجدار الذى (يدور) اي يحيط بالبيت اول الامر (كما ذكرنا في المعدد السابق) ثم اطلقت على البيت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة اي الطريق . وعندئذ ظهرت في الارمية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

الدراج (زنة الدكان) :

طائر يشبه الحجل ، ار : (دروكو drogo) . انما سمي الحجل بهذا من مشيتة لانه يبدو حين يسير كأنه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج من

ادركت الشيء :

علمته ، فهمته ، أر : (درك) drak دخل مكانا .

هي الاستراحة . أر : (روحتو من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والروحة .

ف عدد سابق ، وبرهننا على اثالتها في العربية .

الرب (زنة الفب) :

المولى ، أر : (ربوا rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو او الآب + رابي : الكبير) واثلها هو فعل ربيا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل ان الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل اثله (ربيا) بالهمزة بمعنى ارتفع ، وكل من هذه الافعال الثلاثة (رب وربيا وربأ) اشتقات كثيرة لا تدع مجالا للشك في اثالة عرويتها . وان اردنا ترسيسها زيادة في الاقتناع نان (ربيا) اثله رفع وهذا من فرع وهذا من غرق وهذا من فر (اي محاكاة صوت اجنحة الطائر عند فراره) .

الروب (زنة الدب)

ما يختر من عصير الشمار ، أر : (روبيو roubo)

ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان اثلها يختلف عن اثلها . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي وبالباء مثل : الجب والصب والعجب والسرب والشرب .. واثلها جميعا (آب) : ماء . أما (الرب) فاثله المباشر الروب ، وقد قالوا راب البن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب البن) هو موه الحليب اي انفصل (ماؤه) فنكشف قوامه وخترت مادته : ومن روب البن نشأ السرب بمعنى التخثر عامية ومنه تخثر عصير الشمار ، ثم ظهر في الارمية .

السرقة (زنة الخفة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، أر : (ربوتو rēbuto)

هذه الكلمة ايضا اثلها ربيا يربو ، وهذا اثله ربيا (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذى تقدم بنا . ومن

نشرط في ترسينا اللغوى التشابه في النقط والمعنى جميا ، والا فان مجرد الشبه اللغوى يؤدى الى نتيجة يغول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا تستطيع ان تقول انها بنت (زنق) العربية ولا امها ، لأن تباین المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزناق) تحت حنك الفرس اي ذقنه كان في وسعنا ان نقول ان (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وام (زنخ zenakh) الفارسية التي تعنى الذقن ايضا .

فإذا كانت (ادرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الارمية التي تعنى (دخل مكانا) ملأنى وجهها لاعتبار أيتها مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لکتنا نستطيع أن نرشدهم إلى أثل هذه الكلمة الارمية في العربية وهو (أدرج) الشيء في الشيء : أدخله ، ومن ذلك (الدرج) - زنة البرج - بمعنى السقط والقمطر لأنهم يدرجون فيهما الاشياء اي يدخلونها . ومن ذلك قوله أدرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعنى دونتها ايضا .

وما اظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على أنها أثل (درك) drak الارمية .

داس الحنطة :

درسها ، أر : (دوش doch)

أثل الدوس في العربية هو (الدش) - زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش اثله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك ايضا . فالدش هو أثل (دوش) الارمية والدوس العربية كلها . أما في الانكليزية فهي dash : حطم .